المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأنام محمد ﷺ ورضي الله تعالى عن صحابته الأخيار ، وبعد :

فإنك لو اطلعت في كتب السابقين تجد نفسك أمام متحف مكتوب ومصور على ورق ، وتتطلع على ميزة خاصة امتازت بها الأمة المحمدية عن غيرها من الأمم ألا وهي كثرة البكاء ، كما تصف لنا الكتب فإنها أمة بكّاءة .

والبكاء طبيعة بشرية ، وجبلة إنسانية ، ورحمة أوجبته ، فلا حرج في إبرازها ، ولا ضرر في إخراجها ، ما لم تشتمل على أحوال تؤذن بالسخط ، وتنبئ عن الجزع .

ثم إنك تجد أشكالاً وصوراً مختلفة من حالة إلى أخرى ، فهناك دموع الحزن التي يبكيها الإنسان في اللحظات المؤلمة والحزينة ، ودموع الفرح التي تتساقط في موقف مفرح أو لقاء حبيب ، ودموع الخجل التي تفرزها العين في موقف محرجٍ ومخجل ، وهناك أنواع أخرى من الدموع التي تجري في مواقف الشموخ والكبرياء والنخوة ، ...الخ .

فالنتيجة أن الدموع هي إفراز القلب بوساطة العين .

وقال العلماء :وأعلى مراتب البكاء الناشئ عن غم في القلب نتيجة القروح التي أصابته وأحرقته إما حياءً وخوفاً وخشية من الله تعالى وربوبيته وصفاته ، وإما نتيجة الغربة والفراق والبلاء ، وإما فرحاً مازجه تذكر ... الخ .

وعلمياً : هذا الموضوع ما زال بكراً من الناحية التشريحية والفسلجية ، فالدموع تنهمر في ظروف لا حصر لها ، قد تكون متناقضة أحياناً ، وإلى الآن لم يتبين للعلماء ما يدور داخل الدماغ من إيعازات واتصالات تسبق عملية الإفراز .

وتأتي أهمية الموضوع من نواحٍ :

أولاً : إن الدمع شأن لا يمسّ فئة من الناس دون فئة بل هو يمسّ جماعة البشر كافة .

ثانياً : عظمة الشريعة الإسلامية ، فلا تشرّع شيئاً إلاّ في مصلحة الناس ، يقول رسول الله ﷺ : (هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء) [1] . وبعد بحث طويل للوصول إلى رحمة البكاء ، وجدت البكاء رحمة أنعم الله تعالى بها على البشرية للتنفيس عن الكرب ، والتخفيف عن النفس لما يصيبها من عوامل نفسية مختلفة .

(١) : صحيح البخاري:٢٢٣/١ ، صحيح مسلم:٣٦٧/٢ .

أما أحكامه الفقهية فتتعلق : في باب الصلاة وباب الجنائز وقراءة القرآن والبكاء عند الدعاء ورفع الأيدي ،وفي أحكام النكاح (بكاء البكر) ، وبكاء الطفل واستهلاله ، وبكاء النفاق والكذب ، ، فنطاقه غير واسع في كتب الفقه .

وخطة البحث تضمنت المنهج الآتي :

المبحث الأول :حقيقة البكاء وعلّته وأسبابه وفوائده .وتضمن :

المطلب الأول :حقيقة البكاء لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني: علة البكاء.

المطلب الثالث : أسباب البكاء عند الصغار والكبار.

المطلب الرابع : أهمية البكاء وتساقط الدموع .

المبحث الثاني :الأدلة الشرعية لمشروعية البكاء وتساقط الدموع ،وتضمن :

المطلب الأول : من الكتاب الكريم .

المطلب الثاني : من السنة النبوية المطهرة .

المطلب الثالث : الإجماع .

المطلب الرابع : المعقول .

المبحث الثالث : الأحكام الفقهية للبكاء .ويتضمن :

المطلب الأول : البكاء في الصلاة .

المطلب الثاني : البكاء على الميت .

المطلب الثالث : البكاء عند تلاوة القرآن أو سماعه .

المطلب الرابع : أثر البكاء على بقية الأحكام الفقهية .

ثم الخاتمة والمصادر .

داعياً الله تعالى السداد في الرأي ، إنه نعم المولى ونعم المعين .

المبحث الأول : حقيقة البكاء وعلّته وفوائده وأسبابه :

ويتضمن :

المطلب الأول : معنى البكاء لغة واصطلاحاً :

أولاً : البكاء لغة [١] :

بالمدّ : هو الصوت ، وبالقصر : هو الدموع وخروجها ، قال الخليل : من قصر ذهب به إلى معنى الحزن ، ومن مدّه ذهب به إلى معنى الصوت ، قال كعب بن مالك [٢] ذاكراً المعنيين :

بَكتْ عيني وحق لها بُكاها وما يغني البكاء ولا العويلُ

فبكى على الميت وبَكاه وبَكى له وبَكى عليه وبَكاه ، وفعلت به ما أبكاه وبَكّاه واستبكاه بمعنى أبكاه .

وتباكى : أي تكلف البكاء ، والتباكي نوعان :

١:الممدوح : فيكون بسبب استجلاب رقة القلب ، وهو المراد بقول عمر ﷺ لما رأى النبي ﷺ وأبا بكر ﷺ يبكيان في شأن أسارى بدر ، قال : أخبرني يا رسول الله ما يبكيك ؟ ، فإن وجدتُ بكاءً أي سبب لبكائي بكيت وإلاّ فتباكيت(٣) .

٢: المذموم : وهو بكاء الجور والنفاق ، وهو أن تدمع العين والقلب قاسٍ .

فالمعنى اللغوي يدل على أنّ البكاء بمعنى الصوت المعبر به عن الحزن إذا كان بالمد ، ومن قصره ذهب به إلى معنى نفس الحزن وكلاهما مصدر بكى بكاءً وبكىً .

ثانياً : البكاء اصطلاحاً :

عرفه الأصفهاني : (هو سيلان الدمع عن حزن وعويل) [٤] .

وعرفه بعضهم : (هو سيلان العين ، بخروج الدمع وتناثره وفيضانه على الخد مع الحزن لأسبابٍ تستدعيه ، وقد يصحبه صوت) [٥] .

---

(١) : لسان العرب:٨٢/١٤ .

(٢) : ديوان كعب بن مالك:٢٥٢ .

(٣) : مسند أحمد بن حنبل: ١ / ٣٠.وقال شعيب الأرنؤوط معلقا عليه: إسناده حسن.

(٤) : المفردات في غريب القرآن: ٥٨ .

(٥) : الإتحافات الربانية للترمذي: ٣٤ ، الموسوعة الفقهية : ١٦٧/٨ .

والملاحظ على هذه التعاريف إهمالها لدموع الفرح ، ودموع الغضب وغيرهما ، والاقتصار على الحزن ،لأنه الغالب.

وبذلك نجد التوافق بين المعنى اللغوي والاصطلاحي مما يدل على استعمال العلماء للمعنى اللغوي .

المطلب الثاني : علة البكاء :

تصفحت كتب الفقهاء والمفسرين والمحدثين لأجد علة للبكاء أو قولاً يذكر ذلك فلم أجد إلاّ في تفسير الرازي قائلاً :

(اختار هذين الوصفين – الضحك والبكاء – للذكر والأنثى ، لأنهما لا يعللان فلا يقدر أحد من الطبيعيين أن يبدي في اختصاص الإنسان بالضحك والبكاء وجهاً وسبباً .

وإذا لم يعلل بأمر ، ولابد له من موجه فهو الله تعالى بخلاف الصحة والسقم فإنهم يقولون : سببها اختلال المزاج ، وخروجه عن الاعتدال ، ويدلك على هذا أنهم إذا ذكروا في الضحك أمراً له : قالوا : قوة التعجب وهو غاية البطلان ، لأن الإنسان ربما يبهت عند رؤية الأمور العجيبة ولا يضحك .

وقيل : قوة الفرح ، وليس كذلك ، لأن الإنسان يفرح كثيراً ولا يضحك ، والحزين عند غاية الحزن يضحكه المضحك ، وكذلك الأمر في البكاء) [1] .

وأكد الأستاذ الدكتور أحمد عبيد الكبيسي في لقاء صحفي بقوله :

(نحن لا نصيب إذا قلنا : إنّ الحزن هو علة البكاء ، فكثيراً ما نشاهد حزيناً ولكنه لا يبكي ، ونفس الأمر ينطبق على الضحك لو قلنا : إنّ سببه الفرح ، وقد تَمُرّ بأناسٍ يبكون فرحاً أو قد نصادف أشدّ الناس حزناً وهو يضحك عند سماعه نكتة وهو يمشي خلف جنازة أبيه) [2] .

إذن لم يكتشف العلماء علة للضحك والبكاء .

المطلب الثالث : أسباب البكاء عند الصغار والكبار :

هناك أسباب للصغار وأسباب للكبار ، يمكن حصرها بما يأتي :

أولاً : أسباب البكاء عند الصغار :

(١) : التفسير الكبير للرازي:٢٧٩/٢٩ .

(٢) : جريدة الزوراء ، العدد(٧٩) ، سنة ١٩٩٨م .

يقول ابن القيم : تأمل حكمة الله تعالى في كثرة بكاء الأطفال ، وما لهم من المنافع ، ... .

فإن البكاء يوسع مجاري التنفس ، ويفتح العروق ، ويقوي الأعصاب [١] .

ويرى علماء النفس :

بكاء الصبي هو الوسيلة الوحيدة التي يمتلكها في الأشهر الأولى للتعبير عن رغباته واحتياجاته وللإعلان عن ضرّ يحيط به .

ويقول الأطباء :إنّ سبب الصيحات الأوَل التي يطلقها الطفل هو الإحساس الشديد بالنقص نتيجة مواجهة الواقع بصورة مفاجئة أو بقايا الحبل السرّي أو بعض الآلام [٢] .

ويقول الأطباء :الطفل لدية طاقة ونشاط وملايين الخلايا في مرحلة تطور وتحول فلا بدّ أن يستنفذ هذه الطاقة الزائدة ويمكن إدراج البكاء بوساطته لاستنفاذ قسم كبير من هذه الطاقة [٣] .

ويمكن حصر أهم الأسباب للبكاء عند الصغار بما يأتي :

١: المرض : فهناك الكثير من الأمراض التي يتعرض لها الصغار ولا سيما المغص والإسهال وغيرهما من الأمراض التي تؤدي إلى بكائه ، لكي يخفف عن أوجاعه ، ويعبر عن احتياجاته ، ويمكن مراجعة المصادر الطبية الخاصة بأمراض الأطفال.

٢: الجوع : فشعور الطفل بالجوع يدفعه إلى البكاء ، ليعبر عن حاجته إلى الطعام ، فقد ذكرت كتب السير أنّ عمر بن الخطاب ﷺ طاف ليلة فإذا بامرأة في جوف الليل في دار لها ، وحولها صبيان يبكون فسأل المرأة لمَ يبكون ؟ . فقالت : الجوع ... [٤] وغيرها من الحوادث الكثيرة في كتب الحديث والسير والتاريخ .

٣: العطش : إنّ إحساس الطفل بالعطش لا سيما في فصل الصيف قد يدفعه إلى البكاء ، فقد ذكر الطبراني أنه ﷺ سمع صوت الحسن والحسين يبكيان وهما مع أمهما فسألها ﷺ فقالت : العطش . فأدلع لهما لسانه ﷺ فجعلا يمصانه حتى هدئا [٥] .

٤: الحاجة إلى الشعور بالحب والحنان : لما كانت الحضانة تفتقر إلى وفور الصبر على أحوال الطفل من كثرة البكاء والتضجر وغيرهما من الهيئات العارضة له وإلى مزيد من الشفقة

---

(١) : مفتاح دار السعادة:١/٢٧٣ .

(٢) : الطفل في حالة الصحة والمرض:٢٨ .

(٣) : المصدر نفسه .

(٤) : الرياض النضرة في مناقب العشرة:٢/٧٠ .

(٥) : قال في المجمع رجاله ثقات ، ينظر المعجم الكبير للطبراني:٣/٥٠-٥١ .

والرقة الباعثة على الرفق به ، لذا خصت بالنساء غالبا ؛ لأن علو همة الرجل تمنعه الإنسلاك في أطوار الأطفال وملابسة الأقذار وتحمل الدناءة.

ويرجع سبب تعلق الطفل بأمه ، لأنها الإنسان الذي يهيأ له كل شيء كالاستحمام والرضاعة .. الخ .

وبكاء الطفل ورغبته بالبقاء مع والديه لا يفسر بأن الطفل شقي أو مدلل .

ويزداد البكاء ليلاً .ولا ضير بأن تقوم الأم بحمله حتى تهدئه ، ومن الخطأ الشائع ترك الطفل لفترة طويلة وهو يبكي . فعن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (إني لأدخل الصلاة أريد إطالتها ، فأسمع بكاء الصبي فأخفف من شدة وجد أمه به)[1] .

٥:الخوف من الظلام :فيبكي عند إطفاء النور ، ويبكي إذا تُرك لوحده ، لشعوره بالوحشة .

٦:هناك عوامل نفسية تُلجأ الطفل إلى البكاء ، للتخفيف عن أوجاعه وآلامه ، وأهمها[2] :

أ : قد يبكي الطفل عند رؤيته أمه تبكي ، ويبكي في كثير من الأحيان من حمله من شخص غريب لم يألف رؤيته من قبل ، أو إذا تحدّث أحدهم معه بقسوة .

ب: ضرب الصغار من قبل الوالدين ، لأجل التربية والتعليم والتأديب .

ج : خلع ملابس للطفل أو لبسه ملابس ثقيلة أكثر من اللازم ، فإن ذلك يجعله في حالة مزعجة .

د : قد يبكي من حرارة الجو أو برودته .

هـ: نتيجة القلق والشعور بالضياع أو الغربة أو نتيجة لفقدان أحد والديه .

و : الغيرة من الآخرين .

ز : قد يكون عامل الوراثة ، حيث يتأثر بعض الأطفال بشخصية آبائهم ويقوم بتقليد العنف والعصبية التي يراها في أبويه بوساطة البكاء . فيا لعظمة الخالق !!.

ثانياً : أسباب البكاء عند الكبار :

قسم بعض الشافعية [1] البكاء تبعاً لأسبابه إلى :

(١) : صحيح البخاري: ١٣١/٢ ، صحيح مسلم :١٩٦/١ .

(٢) : الطفل في حالة الصحة وحالة المرض:١٧٨-١٨٢.

١- بكاء الفرح .
٢- بكاء الحزن على ما فات .
٣- بكاء الرحمة .
٤- بكاء الخوف مما يحصل .
٥- بكاء كبكاء النائحة فإنها تبكي لشجو غيرها .
٦- بكاء موافقة بأن يرى جماعة يبكون فيبكي مع عدم علمه بالسبب .
٧- بكاء الجزع من ألم لا يحتمله .
٨- بكاء المحبة والشوق .
٩- بكاء الجور والضعيف .
١٠- بكاء النفاق .

وهناك من قال البكاء على ستة أوجه [٢] كما ورد عن الأنبياء:

١- بكاء الفقد : كبكاء يعقوب عليه السلام .
٢- بكاء الخوف : كبكاء يحيى بن زكريا عليه السلام .
٣- بكاء الخطيئة : كبكاء داود عليه السلام .
٤- بكاء الحياء : كبكاء آدم عليه السلام .
٥- بكاء الهيبة : كبكاء سائر الأنبياء عليهم السلام .
٦- بكاء الشوق : كبكاء شعيب عليه السلام حتى ذهب بصره .

وهناك من قسم الدموع إلى أنواع [٣] :

١- الدموع العظيمة : وهي دموع الانتصار .
٢- الدموع البريئة : وهي دموع الأطفال .
٣- الدموع المؤثرة : وهي دموع التوبة .
٤- الدموع الحزينة : وهي دموع العزاء .
٥- الدموع الرقيقة : وهي دموع المرأة .
٦- الدموع الجميلة : وهي دموع الوفاء .
٧- الدموع السعيدة : وهي دموع النجاح .
٨- الدموع الكاذبة : وهي دموع التماسيح .

---

(١) : حاشية الجمل:٢/٢١٤ .
(٢) : حالة أهل الحقيقة مع الله:٢١٩-٢٢٠.
(٣) : مجلة الرباط الإسلامي ، مجلة شهرية ، جامعة حضرموت ، العدد (٢) ، سنة ١٤٢٣هـ .

٩- الدموع القاسية : وهي دموع الألم .
١٠- الدموع المعبّرة : وهي دموع الندم .

يقول الأستاذ حسن محمد صندقجي ([1]):
دموع العين أنواع مختلفة ، ومهام متعددة، فهناك ثلاثة أنواع من الدموع التي يمكن للغدد الدمعية إفرازها ، في حالات مختلفة من حياة الإنسان اليومية ، وهي:
أولا: الدموع الأساسية : تحتاج قرنية العين إلى أن تبقى رطبة دائما ، وذلك لضمان سلامتها وحفظ تركيبها الشفاف المهم ، والقرنية هي الجزء الشفاف من مقدم العين المشاهدة ، وعملية ترطيب القرنية تتم عبر الإفراز المتواصل للدموع الأساسية ، كما إن تلك الإفرازات الدمعية تعمل على غسل القرنية من أي جسم غريب تعلق بها كالغبار وغيره .
ثانيا: الدموع التحسسية: يتم إفرازها كردة فعل لتهيج العين بأجسام غريبة أو بمواد كيميائية مهيجة مثل تعرض العين لوهج ضوء شديد أو أكل الأطعمة الساخنة أو السعال الشديد.
ثالثا: دموع البكاء وتسمى:" العاطفية" : هذا النوع من الدموع يتم إفرازه نتيجة للتعرض لألم جسدي أو عاطفي أو نفسي أو حتى الشعور بالسعادة العارمة . دموع الفرح . ، وغالبا ما يصاحب عملية إفراز دموع البكاء إحمرار الوجه والنشيج وانقباضات في النصف العلوي من الجسم مما يجعل أغلب الدمع حارا.

ومكونات الدمع الصادر خلال البكاء تختلف عن مكونات الدمع الأساسية ودموع التحسس ،ذلك أن دموع البكاء تحتوي على هورمانات بروتينية مثل " برولاكيتين" و" هورمون الغدة جار الكلوية" وعلى مادة طبيعية مخففة للألم تدعى" ليوسين انكفيلاين".

وهذه التقسيمات للعلماء تعود إلى أسباب نفسية مختلفة .
فإن الله تعالى وحده خلَقَ ما يسرُّ وما يُحزِن ، فأضحك وأبكى ، وذلك بأن أنشأ للإنسان دواعي الضحك ودواعي البكاء . وقد يضحك غداً مما أبكاه اليوم ، ويبكي اليوم مما أضحكه بالأمس في غير جنون ولا ذهول ، إنما هي الحالاتُ النفسية المتقلبة بيدِ مقلِّب القلوب.

المطلب الرابع : فوائد البكاء وأهميته :

---

(١) : موقع الانترنيت : " حقيقة الدمع " للأستاذ: حسن محمد صندقجي .

قبل الشروع في بيان أهمية البكاء ، لا بد من وقفة لبيان معنى الدمعة وتركيبتها .

فالدمعة : (هي قطرة من محلول ملحي ، يفرز من الغدة الدمعية وينتشر بين العين وغطاء العين أو الجفن ، لكي يرطب الأجزاء ويسهل حركتها) [١] .

وتتركب الدمعة من :

١: الماء .

٢: الملح ، كلوريد الصوديوم .

٣: الليزوزيم أو الليسوزيم : وهو أنزيم يؤدي إلى تكسير خلايا البكتريا بوساطة التحليل المائي لبعض مكونات جدار الخلية .

٤: الميوسينوجين (مولد المخاط) : وهي مادة بروتينية مخاطية توجد بصورة خاصة في إفرازات الأنسجة المخاطية أو المعدة أو الأمعاء أو الأنف أو الممرات الأخرى في الجسم .

٥: ذايموجين (كلايكوبروتين) : وهو بروتين أساسي غير نشط أو فعال .

وذكر بعضهم : إنّ أهم محتويات السائل الشفاف – الدموع – الماء والأملاح المعدنية وبروتينات ودهنيات وهرمونات وأنزيم خاص ليسوزيم يذيب الجزيئات غير الضرورية كما تتكون من الأوكسجين والبوتاسيوم والنحاس وفيتامين (B١٢) ، وفيتامين (C) ، والأحماض الأمينية ، و(٦٠) نوعاً من البروتينات [٢] .

ويقول الأستاذ عبد العزيز كامل المنيلاوي:

(الدموع سائل شفاف يميل إلى القلوية، وتشتمل على:(ماء حوالي: ٩٣ %، وقيل: ٩٥ %، أملاح صوديوم و بوتاسيوم ، بروتينات، فيتامين c، جلوكوز، حامض ستريك، نسبة ضئيلة من حمض البوليك والبولينا، المادة الفعالة: الليزوزيم، وهو أنزيم يعمل على قتل الميكروبات والجراثيم)([٣]).

فوائد البكاء :

–

(١) : principles of Animal physiology .

(٢) : صحة وجمال عينيك: ٥٩. ٦٠.

(٣) : المصدر نفسه.

يمكن حصرها في [١] :

أولاً : ترطيب القرنية ، للمحافظة على شفافيتها ، وترطيب الأجزاء ، وتسهيل حركتها .

ثانياً : ينقل غذاء القرنية ، حيث لا يوجد في القرنية أوعية دموية .

ثالثاً : يكون طبقة دمعية أمام القرنية ، لذا فإنه يدخل في النظام العدسي للقرنية ، أي له أهمية في الرؤيا .

رابعاً : يحتوي على مادة الليسوزيم كما ذكرنا وهي مضادة للبكتريا فيحميها من الالتهابات .

خامساً : تغسل الدموع العين ، وتبعد الأجسام الغريبة كالغبار والقذارة وغيرها عنها ، وتقتل البكتريا الضارة بوساطة الأنزيمات التي تحويها ، وتوزع الماء والغذاء إلى قرنية العين والجفن ، والدموع تقوم بعملها أفضل في غير أوقات البكاء ، لأن كثرتها وقت البكاء يعطل عملها ، ويحدث خللاً في العين ، ولذلك تلتهب وتحمر وتبدو كماء مضطرب .

سادساً : في البكاء أسلوب طبيعي لإزالة تأثير المواد الضارة من الجسم مثل إفراز العرق ، فيعدّ أسلم طريقة لتحسين حالة الصحة في التخلص من المواد الكيمياوية المرتبطة بالتوتر كما إنه يساعد على ارتخاء العضلات .

سابعاً : ثبت علمياً أنّ البكاء يزيد من عدد ضربات القلب ، وتمريناً مفيداً ونافعاً للحجاب الحاجز ، وعضلات الصدر والكتفين ، وعند الانتهاء من البكاء تعود سرعة ضربات القلب إلى طبيعتها ، وتسترخي العضلات وتحدث حالة شعور بالراحة .

ثامناً : إنّ كبت الدموع قد يؤدي إلى الإحساس بالضغط والتوتر ، والإصابة ببعض الأمراض .

ومما تقدم فإن ذرف الدموع لا يدل على الضعف أو عدم النضج بل يُعَدّ أسلم طريقة لتحسين حالة الصحة من حيث التخلص من الكثير من المواد المرتبطة بالتوتر ، مما يساعد على ارتخاء العضلات كما بينا .

ولهذا نجده ﷺ يحث عليه بقوله ﷺ : (ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا) [٢] ، بل وجعله رحمة للعباد بقوله ﷺ : (هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء) [٣] . ودعاء النبي ﷺ : (اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان بذروف الدموع) [١] .

---

(١) : تفسير النسفي:٢/٣٣٠-٣٣١ ، إحياء علوم الدين:٤/٢١٣ ، principles of Animal physiology .

(٢) : سنن ابن ماجة:٢/١٤٠٣ ، وقال البوصيري : في إسناده أبو رافع ضعيف متروك .

(٣) : صحيح البخاري:١/٢٢٣ ، صحيح مسلم:٢/٣٦٧ .

وغيرها من النصوص النبوية التي فيها دلالة واضحة على أهمية البكاء وتساقط الدموع ، لأن في ذلك رحمة وشفاء لما في النفوس من كرب وآلام ومصائب ، فما أعظم الإسلام بتشريعاته !!.

المبحث الثاني : الأدلة الشرعية لمشروعية البكاء وتساقط الدموع :

ويتضمن :

المطلب الأول : من الكتاب الكريم :

وردت نصوص قرآنية فيها مشروعية البكاء وانهمار الدموع وإن اختلفت الأسباب والوقائع ، منها :

أولاً : قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ** ﴾ (٢) .

دلالتها : فقد ملئت عيونهم دمعاً ، ثم تدفق من جوانبها لكثرته ، حتى أنّ الأعين ذابت وصارت دمعاً جارياً ، وذلك من أجل ما عرفوه من الحق الذي بينه القرآن الكريم لهم .

و(من) للتبعيض فعيونهم فاضت عبرة منهم وخشوعاً ، لمعرفتهم بعض الحق ، إذ سمعوا بعض الآيات دون بعض ، فكيف هم إذا عرفوا الحق كلّه بسماع جميع القرآن الكريم ؟ ، ومعرفة ما جاءت به السنة النبوية من الأسوة الحسنة والبيان .

وهذه الآية نزلت في النجاشي وأصحابه ، عندما بعث النجاشي ثلاثين رجلاً من خيار أصحابه إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليهم سورة (يس) فبكوا ، ففيها مدح لمن وقعت عيناه لمعرفة الحق تعالى بوساطة القرآن الكريم (٣) .

ثانياً : قال تعالى : ﴿ **وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ** ﴾ (٤) .

---

(١) : أخرجه أبو نعيم في الحلية بإسناد حسن ، وذكره الدارقطني مرسلاً ، ينظر عيون الأخبار:٦/٢٨٠ ، حلية الأولياء: ٢/١٩٦.

(٢) : سورة المائدة :٨٣ .

(٣) : لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي:٢٨٢-٢٨٣ .

(٤) : سورة التوبة :٩٢ .

دلالتها :

جاء عصابة من أصحاب الرسول ﷺ يريدون نفقة أو محملاً ، فلما أخبرهم ﷺ بعدم وجود ما يحملهم عليه تولوا وهم يبكون ، وعزّ عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ، فلما رأى الله تعالى حرصهم على محبته ومحبة رسوله ﷺ أنزل عذرهم في كتابه [١] .

ثالثاً : قال تعالى : ﴿ **إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً** ﴾[٢] . **ودلالتها :**

إنّ في القرآن مواعظ تزيد القلب ليناً والعين رطوبة ، فالبكاء ناشئ من خشية الله تعالى الناشئة من التفكر ، فالبكاء مستحب عند قراءة القرآن الكريم . فسبب البكاء إشفاقاً من التقصير في العبادة ، وشوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب [٣] .

الإعجاز في آيات البكاء :

أولاً : قال تعالى : ﴿ **تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ...** ﴾ [٤] . فيه حقيقة علمية هي أنّ كرة العين تبلل باستمرار حتى في أثناء النوم ، أي على مدار اليوم ولا يمكن لكرة العين أن تتحمل الجفاف ولو لثوانٍ قليلة . ولو طال الجفاف لأدى إلى العمى خلال فترة وجيزة . فالدمع يساعد في ترطيب قرنية العين ، للمحافظة على شفافيتها ، وترطيب الأجزاء وتسهيل حركتها كما بينا .

ثانياً : في قوله تعالى : ﴿ **تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً** ﴾ [٥] .

ثبت علمياً أنّ فيضان الدمع هو بسبب انسداد جهاز التصريف أو شلل في الجزء الدمعي من العضلة المُقلية المدارية ، وبتعبير آخر نتيجة انسداد بالقنوات أو شلل بالعصب السابع الذي يحرك العضلة القابضة لكيس الدمع ، وكذلك في حالة زيادة الإفراز أسرع من قابليته تنهمر الدموع الزائدة ولهذا أشار القرآن الكريم بفيضان الدمع ، ولأسباب نفسية مختلفة ، فالعيون ملئت دمعاً ثم تدفق من جوانبها لكثرته [٦] .

ثالثاً : ثبت علمياً أنّ في البكاء أسلوباً طبيعياً لإزالة تأثير المواد الضارة من الجسم ، بحيث يعد أسلم طريقة لتحسين حالة الصحة من التخلص من المواد الكيمياوية المرتبطة بالتوتر

---

(١) : أسباب النزول للواحدي:١٤٨ .

(٢) : سورة مريم:٥٨ .

(٣) : تفسير النسفي:٢/٣٣٠-٣٣١ .

(٤) : سورة المائدة:٨٣ .

(٥) : سورة التوبة:٩٢ .

(٦) : تفسير المنار:٧/١٢ .

، كما يساعد على ارتخاء العضلات ، ثم إنه يعد تمريناً نافعاً للحجاب الحاجز وعضلات الصدر والكتفين ولهذا عند الانتهاء منه تحدث حالة شعور بالراحة ، ولهذا نرى حث القرآن الكريم على البكاء [١] .

رابعاً : دموع التماسيح كثيراً ما نسمعه ، وتعني انذراف الدمع بدون سبب عاطفي ، فالتمساح عند التهامه للفريسة وبسبب كبر حجمها ، ولأنه يفتح فكيه ولمسافة كبيرة ، فإن ذلك يسبب ضغطاً على الغدد الدمعية للتمساح ، وبذلك تبدأ دموعه بالانهمار . وأخذت هذه الملاحظة تطلق على كل من يحاول أن يتباكى لغرض الرياء والنفاق والكذب ، ويشكك من حوله بصدق نواياه وعواطفه ، فأراد القرآن الكريم أن يفضح هذا النوع من البكاء بقوله تعالى : ﴿ **وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ** ﴾ . فبكاؤهم لا يدل على صدق المقالة وإنما كان تصنعاً ، فأراد الإرشاد إلى هذا النوع من البكاء .

خامساً : أما كثرة الدموع والعمى ، فلم يثبت أن كثرة الدموع تسبب العمى ، بل الثابت أنها تسبب تغيرات جلد الخد (الوجنة) كالالتهاب وتغير اللون ، فقد ورد أن كثرة البكاء لعمر بن الخطاب ﷺ تركت خطوطاً سوداء على وجهه إلا أن شدة الحزن وليس كثرة الدموع ، قد تؤدي إلى فقد البصر ، ولأسباب نفسية لاسيما عند تقدم السن .

ومن الحالات النادرة فقد البصر المؤقت في الاضطرابات العصبية ، والبصر يعود تلقائياً في أية لحظة ، وأغلب الظن أن هذا ما حدث لسيدنا يعقوب عليه السلام بعد حزنه الطويل على يوسف عليه السلام . وكما قال بعض المفسرين بأنه صار على العين غشاوة مانعة له من النظر ولم يذهب بصره أصلاً ، وبهذا أشار القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ **وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾ إلى أن العامل النفسي قد أفقد بصره ونتيجة الحزن الطويل .

قال أبو سعيد القرشي : بكاء الحزن يُعمي ، وبكاء الشوق يعشي البصر ولا يعمي ، قال تعالى : ﴿ **وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ** ﴾ [٢] .

وقال أهل التفسير : إن اتصال الدمع بعضه ببعض من كثرة البكاء أضعفت بصر يعقوب عليه السلام . وقيل : عمي فلم يبصر شيئاً ، وذلك لأن الدمع يكثر عند غلبة البكاء ، فتصير العين كأنها بيضاء من ذلك الماء الخارج منها ، والسبب : أن يعقوب عليه السلام من فراق يوسف إلى حين لقائه ما جفت عيناه . وفي النص القرآني جواز على التأسف والبكاء عند نزول

---

(١) : المصدر نفسه .

(٢) : الرسالة القشيرية:٧١ .

النوائب ، فإن الكف عن ذلك مما لا يدخل في التكليف ، فإنه قل من يملك نفسه عند الشدائد ، وكذلك جوازه على الأنبياء بعد التبليغ وإشهار بالأمر [1] .

وقال بعض المفسرين: كان بكاء داود عليه السلام أكثر من بكاء يعقوب عليه السلام ، فلم يذهب بصر داود عليه السلام وذهب بصر يعقوب عليه السلام ؛ لأن يعقوب عليه السلام بكى لأجل يوسف ولم يكن في قدرة يوسف أن يحفظ بصره من البكاء لأجله ، وأما داود فقد كان يبكي لله ، وفي قدرة الله سبحانه ما يحفظ بصر الباكي لأجله .وقيل: لم يقل الله : « عمي يعقوب » ولكن قال : ﴿ **وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ** ... ﴾ ، لأنه لم يكن في الحقيقة عمى ، وإنما كان حجابا عن رؤية غير يوسف .ويقال كان ذهاب بصر يعقوب حتى لا يحتاج إلى أن يرى غير يوسف ، لأنه لا شيء أشد على الأحباب من رؤية غير المحبوب في حال فراقه ، وفي معناه أنشدوا :

لما تيقنت أني لست أبصركم ... أغمضت عيني فلم أنظر إلى أحد

وقال أبو سعيد القرشي : إنما لم يذهب بصرهما- آدم وداود عليهما السلام . لأن بكاءهما كان من خوف الله تعالى فحفظا، وبكاء يعقوب عليه السلام كان لفقد لذة فعوتب([2]).

المطلب الثاني : من السنة النبوية المطهرة :

وردت نصوص نبوية كثيرة تزخر بها كتب السنة النبوية ، منها القولية ، ومنها الفعلية ، ومنها التقريرية ، فيها دلالة واضحة على مشروعية البكاء وندبه ، ومنها :

المقصد الأول : أقواله ﷺ :

ومنها:

أولاً : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (سبعة يظلهم الله في ظله ، يوم لا ظل إلا ظله : فذكر منهم .. ، رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) [3] .

(١) : تفسير روح المعاني :٤/١٣، تفسير الكشاف:٢/٤٩٧-٤٩٨،تفسير الرازي:٥/١٥٧ ، تفسير الطبرسي:٥/٢٥٧ .

(٢) : روح المعاني ١٣ / ٨٠.

(٣) : صحيح البخاري بشرح الكرماني:٦/٢٣ ، صحيح مسلم:١/٤١٢ .

دلالتــه : أي سالت عيناه بالدموع عن امتلاء فجعلت العينان كأنهما من فرط البكاء تفيضان ، والفيضان ناشئ عن القرح التي أحرقت قلبه ، مخافة من الله تعالى، أو خوف التقصير معه فلما فعل ذلك ، وهو في خلاء لا يراه أحد إلاّ الأحد ، كان معاملة الله تعالى له أن آواه إلى ظله يوم لا ظل إلاّ ظله [١] .

ثانياً : عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يلج النار رجل بكى من خشية الله ، حتى يعود اللبن في الضرع ..) [٢] .

وفي رواية (عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ... الحديث)[٣] .

دلالته : عود اللبن في ضرعه مستحيل فكذلك دخول النار لمن بكى من خشية الله تعالى .

يقول أبو سعيد الحراز : (إذا بكت عين الخائفين ، فقد كاتبوا الله تعالى بعيونهم) [٤] .

ثالثاً : عن عقبة بن عامر قال : قلت يا رسول الله ما النجاة ؟ . قال ﷺ : (أملك عليك لسانك وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك) [٥] .

دلالته : ابكِ بمعنى اندم على خطيئتك باكياً .

رابعاً : عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا)[٦] .

والمراد هنا بالتباكي الممدوح لا التباكي في إظهار الدموع على العين والقلب قاسٍ . يقول أبو بكر ﷺ : (من استطاع أن يبكي فليبك وإلاّ فليتباك)[٧] .

خامساً : عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما – قال : إنّ رسول الله ﷺ قال لأصحاب الحجر : (لا تدخلوا على هؤلاء القوم إلاّ أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم ما أصابهم) [٨] .

---

(١) : فيض القدير:٤/٨٨-٨٩ .

(٢) : وقال الترمذي: حديث صحيح ،وكذلك الحاكم ، ينظر:تحفة الأحوذي:٥/٢٦٠ .

(٣) : وقال الترمذي: حسن غريب ،المصدر نفسه:٥/٢٦٩ ، .

(٤) : صفة الصفوة:١/٤١٢ .

(٥) : رواه الترمذي ، وقال: حديث حسن ، ينظر تحفة الأحوذي:٧/٨٧-٨٨ .

(٦) : وفي إسناده ضعيف ، ينظر: سنن ابن ماجة:٢/١٤٠٣ .

(٧) : تاريخ الخلفاء للسيوطي:١٠٣ .

(٨) : صحيح البخاري: ٣ /١٤٧ ، صحيح مسلم:١٧ /١١٠-١١١ .

دلالتـه : قوله ﷺ : (لا تدخلوا على هؤلاء القوم) أي المعذبين في ديارهم وهم قوم ثمود المرسل إليهم النبي صالح عليه السلام فكذبوا بما جاءهم به إلاّ أن تكونوا باكين .

وقال بعض الفقهاء: فأما مساكن ثمود فلا تملك فيها لعدم دوام البكاء مع السكنى مع الانتفاع . وذهب بعضهم: تملك بالإحياء ، لأن أثر الملك الذي به لا حرمة له فأشبه آثار الجاهلي القديم. ويكره دخول ديارهم . أي ثمود . إلا لباك معتبر لا يصيبه ما أصابهم من العذاب للخبر([1]).

وغيرها من الأقوال النبوية التي فيها دلالة على مشروعية البكاء والحث عليه .

المقصد الثاني : فعله ﷺ :

ومنها :

أولاً : عن ابن أبي مليكة رضي الله عنه قال : (رأيت رسول الله ﷺ يصلي ولصدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء) وفي رواية : (كأزيز المرجل)[2] .

دلالته :

الأزيز : هو صوت القدر عند غليان الماء ، والمرجل قدر من نحاس وقد يطلق على كل قدر يطبخ فيها والمراد به : أنه يجيش جوفه ويغلي من البكاء ، خوفاً وخشية من الله تعالى .

ثانياً : عن علي رضي الله عنه قال : (ما كان فينا فارس يوم بدرٍ غير المقدام بن الأسود ولقد رأيتنا وما فينا إلاّ نائم إلاّ رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح) [3] .

دلالته : فيه دلالة واضحة على مشروعية البكاء لفعله ﷺ .

ثالثاً : عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال : دخل الرسول ﷺ المسجد ، فبدأ بالحَجَر فاستلمه وفاضت عيناه بالبكاء ... الحديث [4] .

وغيرها من أفعال النبي ﷺ وهي كثيرة جداً .

المقصد الثالث : من تقريراته ﷺ :

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ : (مروا أبا بكر أن يصلي بالناس .فقلت : يا رسول الله : إنّ أبا بكر رجل أسيف ، وفي رواية : كان رجلاً بكّاءً لا يملك

(١) : كشاف القناع: ٤ / ١٨٦.

(٢) : رواه الإمام أحمد ، ينظر: الفتح الرباني:٣/١٦١-١٦٢ .

(٣) : رواه ابن خزيمة في صحيحه : ٢/ ٥٢.

(٤) : رواه ابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ، ينظر المستدرك :١/ ٦٢٥.

عينيه وأنه متى ما يقم مقامك لا يسمع الناس ، فلو أمرت عمر ، فقال ﷺ : إنكنّ لأنتنّ صواحب يوسف مروا أبا بكر أن يصلي بالناس)[1].

دلالته :

أسيف : سريع البكاء والحزن ، وقيل : رقيق ، فأمره ﷺ على الإمامة على الرغم من بكائه الشديد .

المطلب الثالث : الإجماع :

فقد صرحت جميع الكتب لمختلف المذاهب : بأن الإجماع منعقد على مشروعية البكاء من غير نكير أو معارض ، بل تحث وتستحب ذلك لا سيما إذا كان ناشئاً من خشية الله تعالى ، ومن التقصير وغيرها من الأسباب الذي تستدعيه.

المطلب الرابع : العقل :

العقل يؤيد مشروعية البكاء لما فيه من ترويح النفوس واستقرارها ، وكما بينا في أهمية البكاء وتساقط الدموع .

المبحث الثالث : الأحكام الفقهية للبكاء

ويتضمن :

المطلب الأول : حكم البكاء في صحة الصلاة وبطلانها :

ويشمل :

المقصد الأول : البكاء من خشية الله تعالى وخوفا من النار .

(١) : رواه البخاري :٢٣٦/١ .

ويتضمن

الفرع الأول : البكاء من خشية الله تعالى :

المؤمن يعيش في جهاد مع نفسه ، ويراقب الله في جميع أفعاله وتصرفاته ، فهو يخاف الله ، ويبكي عند ذكره سبحانه وتعالى ، فهذا من المخبتين الذين بشرهم الله تعالى بقوله :

﴿ **وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾ (١) .

قال القرطبي فيها : (وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره ، وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم وكأنهم بين يديه ، والوجل : الفزع من عذاب الله)(٢) .

وقال الآلوسي : في الآية :خافت قلوبهم منه عزّ وجل لإشراق أشعة الجلال عليها . وقال أبو بكر أحمد بن سلمان النجار : (من نقر على ذنوبه طال بكاؤه)(٣) .

ويقول صاحب كتاب موعظة المؤمنين : (البكاء من خشية الله تعالى أي من خوفه لما انكشف له من أوصاف الجلال والهيبة والعظمة ، فالخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال ، والعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لإحراق القلب وتألمه . وذلك الإحراق هو الخوف ، فالخوف من الله تارة يكون لمعرفة الله وصفاته ، وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي ، وتارة يكون بهما جميعاً وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله واستغنائه فإذا أكملت المعرفة أورثت جلال الخوف احتراق القلب ثم يفيض أثر الحرقة من القلب على البدن ، وعلى الجوارح وعلى الصفات . أما على البدن فبالنحول والبكاء ، وأما على الجوارح فيكفها عن المعاصي وتقيدها بالطاعات تلافياً لما فرط واستعداداً للمستقبل ، وأما على الصفات فبأن يقمع الشهوات ، ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة ، كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه إذا عرف إن فيه سماً فتحرق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد ولا يكون له شغل إلاّ المراقبة والمحاسبة والمجاهدة) (٤) .

فالبكاء يكون بحسب حال الذاكر، وما ينكشف له ، ففي حال أوصاف الجلال يكون من الخشية وفي حالة أوصاف الجمال من الشوق إليه فعن أبي هريرة ﷺ قال :(سمعت رسول الله

(١) : سورة البقرة :٣٤-٣٥ .

(٢) : تفسير القرطبي: ٧ / ٣٦٥ .

(٣) : صفة الصفوة : ٣ / ٤٦٨ .

(٤) : موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين: ٢ /٤٢٧ – ٤٢٨ .

ﷺ له عليه وسلم يقول : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاّ ظله .. وذكر منهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه")[١] .

فالبكاء ناشئ عن القرح التي أحرقت قلبه حياء من الله تعالى وشوقا إليه وحباً له وخوفاً من ربوبية أو لشهود التقصير معه . فسالت دموعه وهو في خلاء ، لا يراه إلاّ الله فكانت النتيجة إن آواه الله إلى ظله يوم لا ظل إلاّ ظله .

والبكاء من خشية الله تعالى له أثره في العمل وفي غفران الذنوب ، ويدل لذلك ما رواه الترمذي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال (عينان لا تمسهما النار :عين بكت من خشية الله ..) [٢] ، وفي رواية أخري : (حرمت النار على عين دمعت أو بكت من خشية الله...) [٣] .

وفي مدح من يبكي خشية من الله تعالى روى الحاكم عن انس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :(من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله حتى يصيب الأرض من دموعه لم يعذب يوم القيامة) [٤] .

وورد عن النبي ﷺ أنه رأى في المنام رجلاً من أمته قد هوى في النار فجاءته دمعته من خشية الله ، فاستنقذته من ذلك [٥] .

يقول أبو محمد التيمي: من أوتى من العلم ما لم يبكه ، لخليق إلاّ يكون أوتى علما، لأن الله تعالى نعت العلماء بقوله : (**ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا**)[٦] .

وقال الفضيل بن عياض : كان السلف الصالح يقولون : (إن على كل شيء زكاة ، وزكاة العقل الحزن) [٧] .

ولهذا نجد أقوال العلماء [٨] في الحث على هذا الجانب : فيقول عبد الله بن عمر – رضي رضي الله عنهما – : لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إليَّ من أن أتصدق بألف دينار .

---

(١) : صحيح البخاري :٢٤٨/١ ، صحيح مسلم: ١/ ٤١٢ .

(٢) : تحفة الأحوذي: ٢٦٩/٥ .

(٣) :أخرجه أحمد وصححه الحاكم والطبراني في معجمه ، وقال الهيثمي : رجال أحمد ثقات ، الفتح الرباني :١١/١٤ .

(٤): رواه الحاكم في صحيحه وقال :صحيح الإسناد ، ينظر المستدرك: ٢٨٩/٤ .

(٥): قال أبو موسى : حديث حسن جدا، ينظر الفتح الرباني :١٤٧/٨ .

(٦): تفسير القرطبي :٢٢١/١٠ .

(٧): الرسالة القشرية :٧١.

(٨): إحياء علوم الدين: ١٤١/٤—١٤٢ .

ويقول كعب الأحبار : والذي نفسي بيده لأن أبكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي أحب إليَّ من أن أتصدق بجبل أحد . وقال أبو سلمان :عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر . وغيرها من الأقوال المأثورة .

الفرع الثاني : البكاء في الصلاة من خشية الله تعالى وخوفا من النار :

ذهب الفقهاء في صحة الصلاة وبطلانها إلى قولين :

الأول : عدم بطلان الصلاة إذا كان ناشئاً من خشية الله تعالى أو من ذكر الجنة والنار وهو قول الحنفية (١) والمالكية (٢) والحنابلة (٣) والزيدية (٤) والظاهرية (٥) وقال الإمامة(٦) إذا كان بلا صوت وبلا اختيار أو غلبة وهو قول للشافعية (٧) إذا إذا غلب عليه ولا يستطيع دفعها ، ففي هذه يعفى عن قليلها ولا يعفى عن كثيرها .

أدلتهم :

أولاً : إن الله تعالى مدح الباكين بقوله : ﴿ **خَرُّوا سُجَّداً وبكياً** ﴾ (٨) وقوله تعالى : ﴿ **وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً** ﴾ (٩) .

دلالتها :

البكاء هنا ناشيء من خشية الله تعالى الناشئة من التفكر . وقال الزمخشري : يزيدهم خشوعا أي يزيدهم لين قلب ورطوبة عين (١٠) .

ثانيا : عن ابن مليكة قال : (رأيت رسول الله ﷺ يصلي ، ولصدره (أزيز كأزيز الرحى) وفي رواية (كأزيز المرجل) (١١) .

دلالته:

---

(١): حاشية ابن عابدين: ٩٦١٩/١ ، الهداية: ٦١/١ .

(٢): الفواكه الدواني :٢٦٨/١—٢٦٩ .

(٣): المغني :٧٤٢/١-٧٤٣.

(٤): نيل الأوطار :٣٦٩/٢ .

(٥): المحلى : ٣٧٦/٤—٣٧٧.

(٦): مفاتيح الشرائع :٢٢٠/١ .

(٧): حاشية الباجوري :١٧٦/١-١٧٧ .

(٨): سورة مريم : ٥٨ .

(٩): سورة الإسراء: ١٠٩ .

(١٠): الكشاف الزمخشري: ٢/ ٤٦٩ .

(١١): رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وابن حبان وابن خزيمة . ينظر : نيل الأوطار : ٢/ ٣٦٨ .

كان النبي ﷺ يبكي في صلاته هذا البكاء الحار خوفاً من الله تعالى وشدة الشوق إليه .

ثالثا : عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما ثقل رسول الله ﷺجاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال له النبي ﷺ : (مروا أبا بكر أن يصلي بالناس) فقلت يا رسول الله : إن أبا بكر رجل أسيف ، وأنه متى ما يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر ؟ وفي رواية (انه رجل بكّاء لا يملك عينيه) فقال ﷺ : (إنكنّ لأنتن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر أن يصلي بالناس) متفق عليه [١] .

دلالته :

إن البكاء الناشئ من خشية الله تعالى لا يفسد الصلاة قل أو كثر ، وصيغة أسيف تدل على الكثرة والمبالغة .

رابعاً: قال عبد الله بن شداد ﷺ قال : سمعت نشيج عمر ﷺ وأنا في آخر الصفوف يقرأ : **(إنما أشكو بثي وحزني إلى الله)** [٢] .

دلالته :

فيها دلالة قاطعة على أن البكاء من خشية الله وإن كان مصحوبا بصوت لا يفسد الصلاة ، والنشيج البكاء المصحوب بصوت وهو الغصص بالبكاء وتردده في الصدر .

خامساً : يقول ابن عابدين في حاشيته : إذا كان الأنين خوفاً من الجنة أو النار صار كأنه يقول : اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار ، ولو صرح به لا تفسد صلاته ، ولأن الصلاة بمعنى الدعاء ، والدعاء غير مفسد للصلاة [٣] .

سادسا : قال ابن تيمية :(إذا كان البكاء ناشئاً من خشية الله تعالى كان من جنس ذكر الله ودعائه ، فإنه كلام يقتضي الرهبة من الله تعالى . والرغبة إليه ، وهذا خوف الله في الصلاة وقد مدح الله تعالى إبراهيم بأنه أواه وقد فسر بالذي يتأوه من خشية الله)[٤] .

القول الثاني : ذهب الشافعية ، في قول آخر : إن البكاء إذا بان منه حرفان فأكثر ، فإن الصلاة تبطل سواء كان من خوف الآخرة أو لا . فلو قال : آه : اسم فعل مضارع بمعنى أتوجع .خوفا من النار بطلت[٥] . وقال الإمامية : يبطلان الصلاة الصلاة إذا كان اختيارا وكثر[٦] . وقال المالكية : إذا كان البكاء بصوت وكان اختيارياً فإنه

---

(١):رواه البخاري :٢٣٦/١..

(٢): سورة يوسف : ٨٦ ، والحديث رواه البخاري ، ينظر صحيح البخاري بشرح الكرماني :٩١/١.

(٣): حاشية ابن عابدين: ٦١٩/١-٦٢٠ .

(٤): الفتاوى الكبرى :١٩٦/١ .

(٥): مغني المحتاج :١٩٦/١ .

(٦): منهاج الصالحين : ١/ ١٩٢.

يبطل الصلاة إن كانت لمصيبة أو لتخشع وإن كان بغير اختياره ، بأن غلبه البكاء تخشعاً لم يبطل ، وإن كثر وإن غلبه البكاء بغير تخشع أبطل [١].

والحق :

أن البكاء من خشية الله تعالى أو من ذكر الجنة والنار لا يبطل الصلاة كما بينا فعله صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام رضي الله عنهم سواء كان بصوت أو لا ، إنما أنينه وبكاؤه من ذكر الجنة أو النار زيادة على الخشوع .

المقصد الثاني : البكاء لألم أو وجع أو مصيبة أو لتذكر ، الذي لا يتعلق بالخشوع:

فقد فرق الفقهاء بين أن يكون اختياراً أو غلب عليه ، أو كان قليلاً أو كثيراً وعلى النحو الآتي :

قال الحنفية : إن كان لوجع بطلت الصلاة ، إذا اشتملت على حروف مسموعة إذا كان مرضاً لا يستطيع منعه ، لأنه من كلام الناس ، فصار كأنه يقول : أنا مصاب فعزوني لو صرح به تفسد الصلاة ،لكونه من كلام الناس .

وعن أبى يوسف : إن كان الأنين مع وجع مما لا يمكن الامتناع عنه يقطع الصلاة ، وإن كان مما لا يمكن لا يقطع . وعن محمد : إن كان المرض خفيفاً يقطع ، وإلا فلا ، لأنه لا يمكن القعود إلا بالأنين [٢].

وقال المرغيناني : .

إن كان البكاء والأنين من وجع أو مصيبة قطعها ، لأن فيه إظهار الجزع والتأسف فكان من كلام الناس.

وعن أبي يوسف : إن قوله (آه) لا يفسد في الحالين و(أوه) يفسد : وقيل الأصل عنده أن الكلمة إذا اشتملت على حرفين وهما زائدتان أو أحدهما لا تفسد وإن كانتا أصليتن تفسد ، وحروف الزوائد جمعوها في قولهم :(اليوم تنساه أو أمان وتسهيل) [٣].

قال الشافعية : إن ظهر منه حرفان فأكثر بطلت ، وتعذر في اليسير عرفاً من ذلك إذا غلبه ، وإن ظهر حرفان .

---

(١):مواهب الجليل :٢/ ٣٣ .

(٢): حاشية ابن عابدين: ٦١٩/١—٦٢٠ ، مجمع الأنهر: ١١٨/١.

(٣): الهداية :٦١/١.

وقال الباجوري : تبطل الصلاة إن ظهر حرفان أو حرف مفهم ولو عند الغلبة ، لأن ذلك يقطع عظم الصلاة إلا إذا كان مرضاً ملازماً له بحيث لا يخلو منه زمناً يسع الصلاة فإنه لا يضر كمن به سلس البول ونحوه بل أولى [١].

قال المالكية: إذا كان بصوت غلبه أو لم يغلبه بطلت وإن كان بلا صوت فلا بأس ، وإلا فالكلام إن كان عمداً أبطل قليله وكثيره ، وإن كان سهواً بطل كثيره دون قليله ، وقال بعض المالكية : إذا كان بصوت فإن كان اختيارياً فإنه يبطل الصلاة سواء كان لمصيبة أو لتخشع وإن كان بغير اختياره بأن غلبه البكاء تخشعاً لم يبطل وإن كثر ، وإن غلبه البكاء بغير تخشع أبطل.وذكر الدسوقي : إن كان البكاء بصوت إن كان لمصيبة أو وجع من غير غلبة أو خشوع فهو حينئذ كالكلام يفرق بين عمده وسهوه ، فالعمد مبطل مطلقاً قل أو كثر والسهو يبطل إن كان كثيراً ، ويسجد له إن قل [٢].

قال الحنابلة [٣] : فإنهم يرون أنه إن بان حرفان من بكاء أو تأوه خشية أو أنين في الصلاة لم يبطل ؛ لأنه يجري مجرى الذكر ، وقيل : إن غلبه وإلاّ بطلت كما لو لم يكن خشية ؛ لأنه يقع على الهجاء ويدل بنفسه على المعنى كالكلام . وقال أحمد في الأنين : إذا كان غالباً أكرهه ، أي من وجع وإن استدعى البكاء فيها كره كالضحك وإلا فلا .

قال الظاهرية [٤] : يبطل إذا كان متعمداً وإذا غلبه ولا شيء عليه ولا سجود سهو ولا غيره ، حجتهم : قوله تعالى : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا** ﴾ [٥] وقوله ﷺ : (ما أمرتكم فأتوا منه ما استطعتم) [٦] .

وقال الإمامية : إذا غلبه لغير خشوع بطلت إذا كثر فإنه يبطل ، وإن كان اختياراً لأنه أصبح كلاماً[٧] ؟ .

والأدلة على النهي عن الكلام في أثناء الصلاة هي :

أولاً : عن زيد بن أرقم قال : كنا نتكلم في الصلاة يكلم أحدنا أخاه في حاجته ، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ **وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** ﴾ فأمرنا بالسكوت) [٨] .

---

(١): حاشية الباجوري :١/١٧٦—١٧٧ .

(٢): الفواكه الدواني :١/ ٢٦٨-٢٦٩ ، حاشية الدسوقي: ١/٢٨٤ .

(٣): الفروع :١/٣٧٠—٣٧١.

(٤): المحلى: ٤/٣٧٦—٣٧٧.

(٥): سورة البقرة : ٢٨٦ .

(٦): رواه البخاري: ٩/١١٦، مسلم: ٤/١٠٢.

(٧): مفاتيح الشرائع :١/٢٢٠.

(٨): صحيح مسلم : ٢/٧١.

ثانيا: عن معاوية بن الحكم السلمي قال :قال رسول الله ﷺ (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، وإنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن)[١] .

ثالثا : عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنهما– قال:

كنا نسلم على النبي ﷺ وهو في الصلاة فيرد ، فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه ، فلم يرد علينا فقلنا يا رسول الله :كنا نسلم عليك في الصلاة فترد علينا فقال: (إن في الصلاة لشغلاً) وفي رواية (إن الله يحدث من أمره ما يشاء وإنه قد أحدث من أمره ألاّ نتكلم في الصلاة)[٢] .

والحق:

بطلان الصلاة إذا كان بسبب الوجع والألم وكان معها صوت ، أما إذا لم يكن معه صوت أو غلبه المرض ، ولا يستطيع منعه فلا تبطل الصلاة ،لأن منع ذلك غير ممكن وفيه مشقة وحرج ، والحرج مرفوع بأمر الشارع ، قال تعالى : ﴿ **مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ** ﴾[٣] ثم إنه لا يمكنه القعود إلا بالأنين .

ولأن الأنين والبكاء إذا اشتمل على حروف مسموعة كان من كلام الناس كما بين الفقهاء ذلك .

المطلب الثاني :حكم البكاء على الميت :

المقصود هنا بالحكم : الحكم التكليفي (وهو خطاب الشرع المتعلق بأفعال المكلفين فالحرام المقول فيه اتركوه ولا تفعلوه ، والواجب هو المقول فيه افعلوه ولا تتركوه ، والترك إن اقترن بما يشعر بعدم العقاب على الفعل فهو المكروه ، وإن اقترن به ما يشعر بعدم العقاب على الترك فهو المندوب) [٤] .

(١): المصدر نفسه :٢/٧٠.

(٢): رواه الإمام أحمد ، ينظر :مسند الإمام أحمد: ١/٣٧٦.

(٣): سورة المائدة : ٦ .

(٤): المستصفى :١/٥٥ .

والمـوت :هو عدم وجود الحياة بعد أن كانت موجودة ، أي بموت خلايا مخه وتوقف مراكزه العصبية العليا عن عملها ، وفقد بالتالي كل إحساس [١] .

ويختلف الحكم تبعاً لنوع البكاء وعلى النحو الآتي :

المقصـــد الأول :البكـــاء بالقصـــر ، وهـــو نـــزول الـــدموع مـــن غيـــر صـــوت ، وحكمه :

يباح هذا النوع من البكاء عند جميع الفقهاء : الحنفية[٢] والشافعية[٣] والمالكية[٤] والحنابلة [٥] والزيدية [٦] والظاهرية [٧] .

وهناك قول عند بعض المالكية: إنهما مترادفان، فإرسال الدموع سواء كان برفع صوت أو بدونه يقال له: بكى وبكاء، أي حرم البكاء .

وقال بعض الحنابلة:إنه يكره كثرة البكاء والدوام عليه أياما كثيرة.

حجة جمهور الفقهاء في إباحة البكاء :

أولا : وردت أحاديث كثيرة تدل على مشروعية البكاء وإباحته ، منها :

١.عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ (ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم ، قال انس : رأيته يكيد بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ فدمعت عينا رسول الله فقال : تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلاّ ما يرضي ربنا ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون) رواه البخاري [٨] .

٢ . زار رسول الله ﷺ قبر أمه فبكى ، وأبكى من حوله ، ثم قال : استأذنت ربي أن أزور قبرها فأذن لي ، واستأذنته أن استغفر لها ، ،فلم يأذن لي ، فزوروا القبور فإنها تذكر بالآخرة) [٩] .

٣ . عن أنس بن مالك :شهدنا ابنة لرسول الله ﷺ جالس على القبر ، فرأيت عينيه تدمعان[١] .

---

(١): الأحكام الشرعية للأعمال الطبية :١٨٥ .

(٢): حاشية ابن عابدين :٢٤٦/٢.

(٣): حواشي الشرواني وابن القاسم: ١٧٩/٣-١٨٠ .

(٤): الفواكه الدواني /ج٣٣١/١-٣٣٢.

(٥): الإقناع :٢٤١/١.

(٦): الروض النضير: ٥٢٤/٢ .

(٧): المحلى :١٥١/٥ .

(٨): صحيح البخاري :٢٢٦/١.

(٩): صحيح مسلم :٣٨٩/١ .

٤ . عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : قبل رسول الله ﷺ عثمان بن مظعون وهو ميت ، وهو يبكي أو عيناه تهراقان [٢] .

٥ . وعن أنس بن مالك ﷺ قال : نعى رسول الله ﷺ جعفراً وزيداً وعبد الله ابن رواحة نعاهم قبل أن يجئ خبرهم . نعاهم وعيناه تذرفان [٣] .

دلالتها : فيها دلالة صريحة على إباحة البكاء من غير نكير .

ثانيا : دخل أبو بكر ﷺ فكشف عن وجه رسول الله ﷺ فقبله ثم بكى ولما مات سعد بن معاذ جعل أبو بكر وعمر ينتحبان ، حتى اختلطت عليّ أصواتها كما تقول عائشة –رضي الله عنها – مما يدل على إباحة البكاء [٤] .

ثالثا : لما كان البكاء على الميت والحزن عليه طبيعة لا يستطيعون أن ينفكوا عنها لم يكلفوا بتركه كيف وهو ناشئ من رقة القلب ، وأن البكاء بمجرده غير مناف للصبر ولا للرضا بالقضاء وإنما هو طبيعة بشرية وجبلة إنسانية ورحمة رحيمة أوجبته ، فلا حرج في إبرازها ، ولا ضرر في إخراجها ، ما لم تشتمل على أحوال تؤذن بالسخط [٥] .

والبكاء عند زيارة القبر :

جائزة عند الفقهاء ،لما ذكرنا من زيارته ﷺ لأمه فبكى ، وأبكى من حوله .

المقصد الثاني : البكاء الذي معه صوت وأفعال قبيحة :

يقوم على الندب على الميت وهو عد محاسنه ، كأن يقول : واكهفاه ، واجبلاه ، واسنداه ، بأداة النداء . أو مع القول القبيح أو مع أحدهما والقول القبيح كيا قتال الأعداء ويا نهاب الأموال وما يقوله النساء من التعديد.

ويقوم أيضاً على :

– **النياحة** :وهي رفع الصوت بالندب ،والإفراط في رفع الصوت .

– **الصياح والصراخ** :وهو الصوت بأقصى الطاقة ، وقد يكون معهما بكاء ، وقد لا يكون ، ويرد الصراخ أيضا لرفع الصوت على سبيل الاستغاثة .

---

(١): صحيح البخاري :٢٢٣/١ .

(٢): تحفة الأحوذي :٦٣/٤.

(٣): صحيح البخاري :٢٢٥/١.

(٤): الفتح الرباني :١٠٣/٧ .

(٥): حجة الله البالغة: ٤٩٤/٢.

- **النحيب** : وهو أشد البكاء
-**العويل** : وهو رفع الصوت بالبكاء .
- **اللطم** : وهو ضرب الخدود .
شق الثياب والجيوب
. نثر الشعر المضفر بأن تفكه وتنفشه وتقصه .
. تغير لباس أو زي أو ترك لباس معتاد .
. تسويد وجه وإلقاء الرماد على الرأس .
يحرم هذا النوع من البكاء عند جميع الفقهاء [١] .

وحجتهم :

١- عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: إن النبي ﷺقال :(ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب، ودعا بدعوة الجاهلية) [٢] .

دلالته :

ليس من سنتنا وطريقتنا ضرب الخدود وخصه بذلك ، لكونه الغالب وإلا فضرب بقية الوجه مثله ، وشق الجيوب أي شقه إلى آخره ، ودعاء بدعوة الجاهلية أي من النياحة ونحوها وكذا الندبة كقولهم : واجبلاه ، وكذا الدعاء بالويل والثبور . والفائدة هو الردع عن الوقوع في مثل ذلك .

٢- عن يزيد بن أوس قال :أغمى على أبي موسى الأشعري فبكوا عليه ، قال : إني برئ ممن برئ منه رسول الله ﷺ فأسالوا عن ذلك امرأته : فقالت من حلق وخرق أو سلق . وفي رواية :أن رسول الله برئ من الصالقة والحالقة والشاقة [٣] .

دلالته:

توعده بأن لا يدخله في شفاعته من سلق: " رفع صوته بالبكاء مع التلفظ بما نهي عنه الشرع ". وحلق : "حلق شعره " وخرق : " شق ثوبه" . والبراءة الانفصال من الشيء ، وقيل : أنا برئ من فاعل ما ذكر وقت ذلك الفعل ، ولم يرد نفيه عن الإسلام .

٣- عن أم عطية – رضي الله عنها – قالت : لما نزلت هذه الآية ﴿ **يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً** ﴾ إلى قوله تعالى :﴿ **وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ** ﴾ [٤] قالت : كانت منه النياحة

---

(١): الفتاوى الهندية :١٥٦/١ ،حاشية الباجوري: ٢٥٧/١،الفواكه الدواني:٣٣١/١-٣٣٢. مواهب الجليل :٢٣٥/٢، بشرى الكريم :٣٩/٢-٤٠ ، الروض النضير: ٥٢٢/٢-٥٢٣.

(٢): رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه والبيهقي وغيرهم : ينظر :الفتح الرباني :١٠٥/٧-١٠٦.

(٣): رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة والبيهقي وغيرهم ،ينظر :الفتح الرباني :١٠٥/٧-١٠٦ .

(٤): سورة الممتحنة: ١٢ .

: فقلت يا رسول الله إلاّ آل فلان ، إنهم قد كانوا أسعدوني في الجاهلية . قالت : إلا آل فلان[١] .

دلالته :

قال النووي :هذا محمول على الترخيص لأم عطية في آل فلان كما هو ظاهر ، ولا تحل النياحة لغيرها ولا لها في غير آل فلان ، وللشارع أن يخص من العموم ما شاء [٢] .

وقالوا فيه أقوالا عجيبة حتى أن بعض المالكية قالوا :النياحة ليست بحرام بهذا الحديث.

٤- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة[٣] .

دلالته :

اللعن هو الطرد من رحمة الله تعالى ، ولا يكون إلا على كبيرة ، والنائحة قد ارتكبت كبيرة بفعلها ، والمستمعة لأنها ما استمعت إلاّ وهي راضية عن فعل النائحة ، والرضا بالمعصية معصية فاشتركا في اللعن .

٥- عن أبي موسى ﷺ : أن رسول اللهﷺ قال: (ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول : واجبلاه ، واسيداه أو نحو ذلك إلاّ وكل به ملكان ، ويلهزانه أهكذا أنت) [٤] .

دلالته : النائحة هي التي تنوح على الميت بصوت مرتفع قائلة :واحسرتاه ، وامصيبتاه ، واويلاه ونحو ذلك بحالة تجلب البكاء والحزن ، وذلك محرم شرعاً ، ويلهزانه من اللهز وهو الدفع بجميع اليد في الصدر .

٦-عن عمر ﷺ قال : (ما على نساء بني المغيرة أن يبكين على أبي سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة ، وفي رواية : نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند مصيبة و خمش وجوه ، وشق جيوب ورنة شيطان) [٥] .

دلالته :

يشير إلى اللقلقة وهي شدة الصوت ، والسر في هذا التحريم يقول الدهلوي : (إن ذلك سبب تهيج الغم ، وإنما المصاب بالثكل بمنزلة المريض ويعالج لتخفيف مرضه ، ولا ينبغي أن

---

(١): رواه الإمام أحمد ، ينظر الفتح الرباني: ١١٠/٧.

(٢): الفتح الرباني: ١١٠/٧.

(٣): الترغيب والترهيب :١٧٩/٤، رواه ابن ماجه . وفي معناه رواه أبو داود ، ورواه الإمام أحمد برواية (لا تصلي الملائكة على نائحة ولا مرنة) كناية عن غضب الله عليها وطردها من رحمة الله . ينظر الفتح: ١١١/٧-١١٢ .

(٤): رواه الترمذي وابن ماجة ،واللفظ للترمذي وقال : حديث حسن غريب ، ينظر الترغيب :١٧٦/٤ .

(٥): رواه الترمذي وقال : حديث حسن ، ينظر تحفة الأحوذي: ٨٧/٤ .

يغوص بقصده ،وأيضا لعدم الرضى بالقضاء . والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران – النحاس المذاب – ودرع من جرب) [١] .

فالنصوص النبوية فيها دلالة واضحة وصريحة على تحريم البكاء على الميت إذا صحبه نياحة أو ندب أو لطم خد أو شق جيب أو خمش وجه أو نثر شعر أو دعاء بالويل والثبور ، فكلها محرمة بالإجماع كما قال النووي .ووقع في كلام بعضهم الكراهة كما نص الشافعي وبعضهم حملها على كراهة التحريم وهو المتعين للوعيد الشديد في ذلك [٢] ونقل عن أحمد أنه أباح النوح والندب ، وهو قول للشافعية ، وحجتهم [٣] .

١:عن أنس بن مالك قال: إن فاطمة – رضي الله عنها– بكت رسول الله فقالت :يا أبتاه من ربه ما أدناه ، يا أبتاه إلى جبريل نعاه ، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه ، بعدها قالت : أطابت لكم أنفسكم أن تحثوا عليه التراب [٤] .

دلالته :

جواز ذكر الميت بما هو متصف به إن كان معلوماً . وقال الكرماني : وليس هذا من نوح الجاهلية من الكذب ، ورفع الصوت وغيره إنما هو ندبة باحة .

٢:روى عن علي – رضي الله عنها– [٥] : أن فاطمة – رضي الله عنها – أخذت قبضة من تراب قبر النبي فوضعتها على عينها ثم قالت :

ماذا على من شم تربة أحمد ألا يشم مدى الزمان غواليا

صبت علي مصيبة لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

٣:عن أنس ﷺ: أن أبا بكر ﷺ دخل على النبي ﷺ بعد وفاته فوضع فمه بين عينيه ، ووضع يديه على صدغيه ، وقال : وانبياه ، واخليلاه ، واصفياه [٦] .

ورد هذا القول[٧] -:

أ–ليس في فعل فاطمة وأبي بكر دليل على جواز ذلك ، لأن فعل الصحابي لا يصلح للحجية كما تقرر الأصول على اختلاف بين العلماء .

---

(١): حجة الله البالغة: ٤٩٤/١ .

(٢): الفتح الرباني :٧/ ١٣٢–١٣٣ .

(٣): المغنى :١١٤/٢، وحاشية الباجوري: ١/ ٢٥٧ .

(٤): رواه البخاري في صحيحه :٥٥٤/١٠.

(٥): المغنى: ٤١١/٢ .

(٦): مسند الإمام أحمد:٣١/٦ ، بإسناد حسن .

(٧): المصدر نفسه .

ب- يحمل ما وقع منهما على أنهما لم يبلغهما أحاديث النهي التي سبق ذكرها .

ج- لم ينقل ذلك أنه وقع بمحضر جميع الصحابة حتى يكون كالإجماع منهم على الجواز ، لسكوتهم عن الإنكار ، والأصل عدم ذلك .

ء- الأخبار التي وردت تذم هذا الفعل ، وما يترتب عليه عن عقاب وسبق ذكرها .

هذا وقد استثنى الشافعية من كراهية التحريم [1] :

قال الرملي : يندب لفقد عالم أو صالح ، ولكره الموت نحو محسن إليه ، ويباح للمحبة والرقة ، والصبر أجمل .

وقال السبكي : إذا كان البكاء لرقة على الميت ، وما يخشى عليه من عقاب الله تعالى وأهوال القيامة ، ،فلا يكره ، ولا يكون خلاف الأولى .

وقال القليوبي : إن البكاء على الميت إن كان الخوف عليه من هول يوم القيامة ونحوه فلا بأس به أو لمحبة ورقة كطفل فكذلك ، ولكن الصبر أجمل أو لصلاح وبركة وشجاعة وفقد نحو علم فمندوب أو لفقد صلة وبر وقيام بمصلحة فمكروه ، أو لعدم تسليم للقضاء والرضى به فحرام .

المقصد الثالث : البكاء عند الموت أو قبله :

وما كان بالصوت دون قول قبيح معه أباح الفقهاء البكاء على الميت سواء كان قبل الموت أو بعده إلا أن للشافعية[2] قولاً بأن البكاء قبل الموت أو عنده جائز أما بعد فمكروه ، وحجتهم :

١- عن جابر بن عتيك ﷺ: أن رسول الله جاء يعود عبد الله بن ثابت فوجده قد غلب عليه فصاح به فلم يجبه فاسترجع ، فقال غلبنا عليك يا أبا الربيع فصاح النسوة وبكين فجعل ابن عتيك يسكتهن . فقال رسول الله : دعهن ، فإذا وجب فلا تبكي باكية . قالوا : ما الوجوب يا رسول الله ؟ قال : الموت[3] .

(١): حاشية الباجوري: ٢٥٧/١،حاشية قليوبي: ٣٤٣/١، حواشي الشرواني وابن القاسم :١٧٩/٣-١٨٠ .

(٢): حاشية القليوني :٣٤٣/١.

(٣): سنن النسائي :١٣/٤.

٢- عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : أغمى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكي ، وتقول: واجبلاه ، واكذا ، واكذا ، تعدد عليه فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلا قيل لي : أنت كذلك فلما مات لم يبك عليه[١] .

٣- البكاء بعد الموت يكون أسفاً على ما فات ، فهو خلاف الأولى وهذا القول مردود للأحاديث الصحيحة السابقة التي فيها ورود البكاء بعد الموت .

المقصد الرابع :اجتماع النساء للبكاء :

كره المالكية [٢] اجتماع النساء للبكاء إذا كان بلا صوت ، وحرمه إذا صحبه صوت . ولم يجز الشافعية [٣] الاجتماع للبكاء ، ولم يتعرض الحنفية والحنابلة لاجتماع النساء للبكاء . وذكرنا أن البكاء بدون صوت جائز عن الفقهاء جميعاً ، وإنما تأتي الكراهية أو التحريم على ما إذا قصد الاجتماع له .هذا إذا كان اجتماع النساء للبكاء مكروها كما في مذهب المالكية ، ومحرماً عند الشافعية فإن تحريم اجتماع الرجال له أولى ، وإنما خص الفقهاء النساء بالذكر ،لأنه هذا شأنهن [٤] .

المقصد الخامس : أقوال الفقهاء في عذاب الميت ببكاء الحي :

ذهب الفقهاء إلى الأقوال الآتية :

الأول : أن الميت يتعذب ببكاء أهله ، وهو قول جماعة من السلف ،منهم : عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ، وهو قول المغيرة[٥] وحجتهم :

١- عن عمر رضي الله عنه :عن النبي ﷺ قال : الميت يعذب في قبره بالنياحة عليه، رواه أحمد[٦] .

(١): صحيح البخاري :٢٢٤٠/١

(٢): مواهب الجليل: ٢٤٠/٢ .

(٣): مغنى المحتاج :٣٥٦/١ .

(٤): حاشية الدسوقي:٤٢٤/١ .

(٥): المغني :٤١١/٢ ، التذكرة للقرطبي :١٢٥/١،الفتح الرباني: ١٢٦/٧.

(٦): الفتح الرباني: ١٢٦/٧ .

٢- عن أنس رضي الله عنه : أن عمر رضي الله عنه لما عولت عليه حفصة قال : يا حفصة أما سمعت النبي ﷺ يقول : (المعول عليه يعذب) قال : وعول صهيب . فقال عمر : يا صهيب أما علمت أن المعول عليه يعذب ، رواه مسلم(١) .

٣- عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ (يعذب الميت ببكاء أهله) رواه أحمد (٢) .

٤- عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أيضا قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه (٣) .

٥- عن موسى بن أبي موسى الأشعري عن أبيه ﷺ : أن النبي ﷺ قال: الميت يعذب ببكاء الحي عليه ، إذا قالت النائحة واعضداه ، واناصراه ، واكاسياه .

دلالتها : فيها دلالة صريحة على عذاب الميت ببكاء أهله (٤) .

الثاني : أن الميت لا يعذب ببكاء الحي إلا إذا أوصى بذلك ، وهو قول جمهور الفقهاء (٥) (٥)

وحجتهم .

ذهبوا إلى تأويل هذه الأحاديث لمخالفتها للعمومات القرآنية ، وإثباتها لتعذيب من لا ذنب له ، واختلفوا في التأويل (٦) .

قال النووي : إن من أوصى أن يبكى عليه ، ويناح عليه بعد موته ، فنفذت وصيته ، فهذا يعذب ببكاء أهله عليه وقولهم ؛ لأنه بسببه ومنسوب إليه .

وقال غيره : أما من بكى عليه أهله ، وناحوا من غير وصية منه فلا يعذب ببكائهم و نوحهم ، لقوله تعالى : ﴿ **وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ﴾ (٧) .

٢-كان من عادة العرب الوصية بذلك ، ومنه قول طرفة بن العبد :

إذا مت فانعيني بما أنا أهله وشقي عليّ الجيب يا ابنة معبد

٣- وقال طائفة منهم :

---

(١): صحيح مسلم: ٣٦٩/١ ، وعولت للمبالغة إذا بكت رافعة صوتها .

(٢): الفتح الرباني: ١٢٦/١-١٢٧٠

(٣): صحيح البخاري: ٢٢٣/١-٢٢٤ ، صحيح مسلم: ٣٧٠/١-٣٧١ .

(٤): رواه الترمذي وقال :حسن غريب ، ورواه ، ابن ماجه، ينظر الترغيب :١٧٦/٤.

(٥): حاشية ابن عابدين: ٢٤٦/٢،الفروع:٢٩١/٢، الفقه على المذاهب الأربعة: ٥٣٣/١.

(٦): المغنى: ٤١٢/٢، نيل الأوطار: ١٥٨/٤، الفتح الرباني :١٢٦/٧ .

(٧): سورة الإسراء : ١٥ .

هو محمول على من أوصى بالبكاء والنوح أو لم يوصِ بتركها ،فمن أوصى بهما أو أهمل الوصية بتركهما يعذب بها لتفريطه بإهمال الوصية بتركهما.

وحاصل هذا القول : إيجاب الوصية بتركها،فمن أهملها عذب لقوله تعالى : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم نارا** ﴾[1] وكلكم راع وكل واحد هو مسؤول عن رعية [2] ، وهو القول المقبول .

الثالث : أن ذلك مختص بالكافر دون المؤمن ،وهو قول عائشة رضي الله عنها وبعض الفقهاء منهم الباقلاني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [3] ، وحجتهم :

١. عن ابن عمر رضي عنهما قال: مر الرسول ﷺ على يهودية يبكى عليها فقال: إنهم ليبكون عليها ، إنها لتعذب في قبرها [4] .

٢.عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ : كان الكافر من كفار قريش يموت يبكيه أهله فيقولون : المطعم ، الجفان ، المقاتل ، الذي ... فيزيده الله عذاباً بما يقولون [5] .

٣.عن عائشة – رضي الله عنها – قالت قال رسول الله ﷺ:إن الله ليزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه [6] .

دلالتها : الأحاديث فيها دلالة صريحة على أن عذاب الميت في قبره خاص بالكافر دون المؤمن .

الرابع : أن الميت يعذب بسبب الأمور التي يبكيه أهله بها ، ويندبونه بتعديد شمائله وتلك الشمائل قبائح في الشرع ، فيعذب بها وهو قول طائفة منهم الظاهرية [7] .

وحجتهم : عن ابن عمر رضي الله عنهما : إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه .

الخامس : أن معنى التعذيب تألم الميت بما يقع من أهله من النياحة وغيرها ، وهو قول ابن تيمية والطبرسي والقاضي عياض [1] : وحجتهم : عن قيلة بنت مخرمة ،

---

(١): سورة التحريم : ٦ .

(٢): الفتح الرباني :١٢٦/٧ .

(٣): المغني :٤١٢/٢ ،الفروع: ٢٩٦/٢، نيل الأوطار: ١٥٦/٤،الفتح الرباني: ١٢٧/٧.

(٤): صحيح البخاري :٢٢٣/١—٢٢٤.

(٥): رواه الإمام أحمد ، وفي إسناده ابن لهيعة فيه كلام ،ينظر :الفتح الرباني: ١١٧/٧–١٢٧.

(٦): :الفتح الرباني: ١١٧/٧–١٢٧.

(٧): المصدر نفسه.

، قلت: يا رسول الله قد ولدته فقاتل معك يوم الربذة ، ثم أصابه الحمى فمات وترك عليّ البكاء ، فقال رسول الله ﷺ :أيغلب أحدكم ليبكي فيشعر إليه صويحبه ، فيا عباد الله لا تعذبوا موتاكم [٢] .

المطلب الثالث : حكم البكاء عند قراءة القرآن الكريم أو سماعه :

ذهب جمهور الفقهاء [٣] إلى أن البكاء من خشية الله تعالى مستحب عند قراءة القرآن الكريم أو سماعه .

وحجتهم :

أولاً : قال تعالى ﴿ **ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً** ﴾ [٤] وقوله تعالى : ﴿ **إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً** ﴾[٥] .

دلالتها: في القرآن مواعظ ، تزيد القلب ليناً ، والعين رطوبة ،فالبكاء ناشئ من خشية الله تعالى الناشئة من التفكر وبالتفكر يتوصل إلى التخشع ثم البكاء وهو سنة القارئ .

قال القرطبي :هذا مدح لهم ،وحق لكل من توسم بالعلم ،وحصل منه شيئاً أن يجري إلى هذه المرتبة فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل[٦] .

وقال الزمخشري : و يزديهم خشوعاً أي يزيدهم لين قلب ، ورطوبة عين[٧].

ثانياً : عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (اقرأ عليّ . قلت : أقرأ عليك ، وعليك أنزل ؟ . قال : (إني أحب أن أسمعه من غيري) فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً** ﴾[٨] .

قال : أمسك . فإذا عيناه تذرفان)[٩] .

---

(١): الفتح الرباني :٧/ ١٢٧ .

(٢): أخرجه وابن شيبة والطبراني : بسند حسن ، وأخرجه أبو داود والترمذي . ينظر الفتح :١٢٧/٧ .

(٣): التذكار :١٣٩ ، تفسير النسفي: ٣٣٠/٢—٣٣١ .

(٤): سورة الإسراء : ١٠٩ .

(٥): سورة مريم: ٥٨ .

(٦): تفسير القرطبي :٤٦٩/٢ .

(٧): الكشاف :٤٦٩/٢ .

(٨): سورة النساء:٤١ .

(٩): صحيح البخاري: ٢٣٦/٤ .

دلالته : بكاء النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان لعظيم ما تضمنته هذه الآية من هول المطلع وشدة الآمر إذا يؤتي بالأنبياء شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب ، ويؤتى به شهيداً وغيرهم وفيه دلالة على جواز البكاء عند سماع القرآن الكريم .

ثالثاً : قالت : عائشة رضي الله عنها : ابتنى أبي مسجداً بفناء داره ،فكان يصلي فيه ، ويقرأ القرآن فيقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يعجبون منه ، وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً بكّاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين[١] . وعن عبد الله بن شداد رضي الله عنه : سمعت نشيج عمر رضي الله عنه وأنا في آخر الصفوف يقرأ : ﴿ **إنما أشكو بثي وحزني إلى الله** ﴾[٢] .

وروي عن أبي عمر رضي الله عنه أنه قرأ : ﴿ **ويل للمطففين** ﴾ فلما وصل إلى قوله تعالى : ﴿ **يوم يقوم الناس لرب العالمين** ﴾[٣] بكى ، حتى انقطع عن قراءة ما بعدها .

وقال ابن أبي مليكه رضي الله عنه: كان ابن عباس رضي الله عنهما يقوم نصف الليل فيقرأ القرآن حرفاً حرفاً ثم ختم قراءته ﴿ **وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد** ﴾[٤] قال : ثم بكى بكى حتى سمع له نشيج .

دلالتها :

فهذه أدلة واضحة وغيرها الكثير جداً على استحباب البكاء عند تلاوة القرآن ومشروعية ، يقول الإمام الغزالي : (البكاء مستحب مع القراءة وعندها وطريقة تحصيله أن يحضر قلبه الحزن ، بأن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره في ذلك ، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر الخواص فليبك على فقد ذلك ، فإنه من أعظم المصائب)[٥] ..

ولهذا حث النبي صلى الله عليه وسلم على البكاء لأن القرآن الكريم نزل بحزن بقوله : (إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا)[٦] .

نقل عن القاضي أبي بكر بن العربي أنه قال : رأيت من يعيب البكاء عند قراءة القرآن وقيل: الصياح ، وحجتهم: أن البكاء صفة الضعفاء ولم يذكر اسماً منهم [٧] . وبكاء النبي صلى

---

(١): صحيح البخاري بشرح الكرماني: ٩٤/١ .

(٢): سورة يوسف ٨٦ ، ينظر: صحيح البخاري:١/ ٩٤.

(٣): سورة المطففين :١-٦.

(٤): سورة ق: ٢١، وهذه الآثار وردت في كتاب التذكار للقرطبي: ١٤٠ .

(٥): إحياء علوم الدين :٣٧٦/١ .

(٦): رواه ابن ماجه ،وقال البوصيري في إسناده ضعيف ٠سنن ابن ماجه :١٤٠٣/٢، ٤١١/٢.

(٧): التذكار للقرطبي :١٤٠—١٤١.

صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين خير دليل على استحبابه فكيف يقال : إنه من صفات الضعفاء .

يقول الشافعية: وندب بكاء عند القراءة وهو من صفة العارفين قال تعالى "**ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا**" ،ولأخبار صحيحة ...وطريقه في تحصيله أن يتأمل ما يقرأ من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يفكر في تقصيره فيها فإن لم يحضره حزن وبكاء فليبك على فقد ذلك فإنه من المصائب. قال في الأذكار: ويندب التباكي لمن لم يقدر على البكاء([1]).

وقال أبو طالب المكي:

إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا ... لما فيه من التهديد والوعيد والوثائق والعهود يوجب البكاء والحزن ، فإن لم تحزنوا وجداً ولم تبكوا نفساً يقيناً فتباكوا و تحازنوا لفظاً لأجل التصديق والإقرار به ، فندبهم إلى التحازن في التلاوة والتباكي ، ليجتمع همّ العبد في المتلو فيتدبر الكلام عسى أن يكون قلبه بمعناه فيكون التباكي والتحزين سبباً لجمع همّه وفراغ قلبه ، لأن المتباكي الصادق مجتمع الهمّ فيما يبكيه ، والحزين حاضر القلب مجموع الفكر ومشغول عن سوى مبكيه ، من ذلك ما روينا عن ابن عباس إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا ، فإن لم تبكِ عين أحدكم فليبكِ قلبه فبكاء القلب حزنه وخشيته ، أي فإن لم تبكوا بكاء العلماء عن الفهم فتحزن قلوبكم على فقد البكاء ، وليخشَ كيف لم يوجد فيكم وصف أهل العلم ، وقد روينا في غرائب التفسير من معنى قوله تعالى : (**وَإِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ**) قال : هي العين الكثيرة البكاء (**وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ**) ، قال : هي العين القليلة البكاء (**وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّه**) ، قال : هو بكاء القلب من غير دموع عين([2]).

استحباب قراءة القرآن على الحذاق وأهل العلم به ، وبكاء السرور .

الأصل في ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب : إن الله عز جل أمرني أن أقرأ عليك : (**لم يكن الذين كفروا**... الآية) [3] قال : وسماني ؟ قال نعم : فبكى أبي أبي رواه البخاري[4] .

(١): أسنى المطالب في شرح روض الطالب: ١ / ٦٣.

(٢) : سورة البقرة : ٧٤ ، وينظر:قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد :١ / ٨٨.

(٣) : سورة البينة: ١ .

(٤) :فتح الباري لابن حجر : ١١ / ١٢٠.

دلالته :

فيه استحباب قراءة القرآن على الحذاق أهل العلم به ، وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه ، وفيه جواز البكاء للسرور والفرح بما يبشر الإنسان ويعطاه من معالي الأمور . وقيل : هو بكاء سرور واستصغار لنفسه من تأهيله لهذه النعمة . بكى إما فرحا وسرورا بذلك ، وإما خشوعا وخوفا من التقصير في شكر تلك النعمة . قال القرطبي : تعجب أبي من ذلك لأن تسمية الله له ونصه عليه ليقرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم تشريف عظيم ، فلذلك بكى إما فرحا وإما خشوعا . قال أبو عبيد : المراد بالعرض على أبي ليتعلم أبي منه القراءة ويتثبت فيها ، وليكون عرض القرآن سنة ، وللتنبيه على فضيلة أبي بن كعب وتقدمه في حفظ القرآن ، وليس المراد أن يستذكر منه النبي صلى الله عليه وسلم شيئا بذلك العرض . ويؤخذ من هذا الحديث مشروعية التواضع في أخذ الإنسان العلم من أهله وإن كان دونه . وقال القرطبي : خص هذه السورة بالذكر لما اشتملت عليه من التوحيد والرسالة والإخلاص والصحف والكتب المنزلة على الأنبياء وذكر الصلاة والزكاة والمعاد وبيان أهل الجنة والنار مع وجازتها([1]) .

البكاء عند رفع اليدين للدعاء :

ويستحب رفع اليدين في الدعاء مع البكاء والتضرع والإذلال كما ذكر الإمام النووي[٢] عند ذكره لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال :

إن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قوله الله عز وجل في إبراهيم **(رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني** ..الآية) [٣] وقال عيسى عليه السلام كما ذكر القرآن ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك العزيز الحكيم** ﴾[٤] فرفع يديه وقال :اللهم أمتي ..أمتي ، وبكى . [٥]

المطلب الرابع : أثر البكاء على بقية الأحكام الفقهية :

(١): المصدر نفسه٠

(٢): :شرح النووي لصحيح مسلم : ٣ /٧٨-٧٩ .

(٣): سورة إبراهيم :٣٦ .

(٤): سورة المائدة: ١١٨ .

(٥): صحيح مسلم بشرح النووي: ٣ / ٧٨-٧٩ .

وتشمل :

المقصد الأول : أثره في العبادات غير الصلاة :

لو أدى العبادات كالزكاة والحج والصوم مصحوبا بالبكاء فإنه لا أثر في صحتها ولا ببطلانها ، بل يمدح إذا كان البكاء من خشية الله تعالى ، فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال : (دخلنا مكة ارتفاع الضحى فأتى رسول الله ﷺ باب المسجد فأناخ راحلته ثم دخل المسجد فبدأ بالحجر فاستلمه ، وفاضت عيناه بالبكاء)[1] .

وقال الحنفية في موقف عرفة:(ومن السنة أن يكثر من الدعاء والتكبير والتهليل والتلبية والاستغفار وقراءة القرآن والصلاة على النبي وليحذر كل الحذر من التقصير في شيء من هذا فإن هذا اليوم لا يمكن تداركه ، ويكثر من التلفظ بالتوبة من جميع المخالفات مع الندم بالقلب وأن يكثر البكاء مع الذكر فهناك تسكب العبرات وتستقال العثرات وترتجى الطلبات وإنه لمجمع عظيم وموقف جسيم يجتمع فيه خيار عباد الله الصالحين وأوليائه المخلصين وهو أعظم مجامع الدنيا)([2]).

المقصد الثاني : بكاء البكر هل يعد رضا وإذنا (أحوال شخصية) :

ويتضمن:

أولا: إذا ما صاحب السكوت البكاء بلا صوت بين الرضا والرفض وعلى النحو الآتي:

أولا: الثيب:

-

إن الثيب إذنها الكلام ، وأن السكوت عند الاستئذان في النكاح لا يعد إذنا و رضا عند جميع الفقهاء ومنهم فقهاء الحنفية، بل لابد من الإذن الصريح بالكلام ، لقوله صلى الله عليه وسلم: " الثيب تعرب عن نفسها"، ولأن السكوت إنما جعل إذنا في البكر، لمكان الحياء المانع من النطق المختص بالأبكار، لأن الحياء يكون فيهن أكثر، فلا يقاس عليه الثيب([3]).

(١): رواه ابن خزيمة في صحيحه واللفظ له والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ،ينظر الترغيب:٢/ ١٢٤ .

(٢): البحر الرائق: ٢ / ٣٦٥.

(٣): صحيح مسلم بشرح النووي: ٥ / ١٩٤ .

وإذا صحب سكوتها البكاء فلا يعد إذنا ورضا من باب أولى، فلابد من التصريح فلا يكفي السكوت والبكاء.

ثانيا: البكر:

ـ المتتبع لأقوال الفقهاء ولاسيما الحنفية سيجدهم قد ذكروا أقوالا عدة بين موسع ومضيق وعلى النحو الآتي :

القول الأول: ذهب جمهور الفقهاء(١) إلى أن البكاء بلا صوت يدل على الرضا والقبول، وأنه إذن في النكاح، وحجتهم:

١ : قوله صلى الله عليه وسلم: " تستأمر اليتيمة ، فإذا بكت أو سكتت فهو رضاها، وإن أبت فلا جواز عليها" رواه أبو داود(٢).

دلالته:

عطف السكوت على البكاء ، وعد كلا من السكوت والبكاء رضا وإذنا بالنكاح.

ورد:

قال أبو داود : ليس " بكت" بمحفوظ ، وهو وهم في الحديث.(٣)

٢: البكاء يدل على فرط الحياء لا الكراهة، ولو كرهت لامتنعت، فإنها لا تستحي من الامتناع(٤).

٣: قال بعض المالكية: إن بكاء البكر غير المجبرة، وهي التي يزوجها غير الأب من الأولياء يعد رضا، لاحتمال أن هذا البكاء إنما هو لفقد الأب مثلا.

وقال بعضهم: يندب إعلامها بأن صمتها رضا منها، فإن نطقت بالإذن فهو أبلغ وأتم في الأذن من صمتها، وإن بكت فهو بمنزلة سكوتها.(٥)

(١): حاشية ابن عابدين : ٧ / ١٤، ملتقى الأبحر: ١ / ٢٢٧ ، إعانة الطالبين: ٣ / ٤٩٣ ، ٤٩٨ ، حاشية الدسوقي: ٢ / ٢٢٧ ، المغني: ٧ / ٣٨٨ ، الفقه على المذاهب الأربعة: ٨٣٠ .

(٢): سنن أبي داود: ٧ / ٣٨٨ .

(٣): المصدر نفسه.

(٤): المغني: ٧ / ٥٧٣ .

(٥): حاشية الدسوقي: ٢ / ٢٢٧ .

القول الثاني: ذهب تلميذا أبي حنيفة. أبو يوسف ومحمد . إلى القول: إن بكت فلا يعد إذنا وقبولا ورضا، لأن البكاء يدل على الكراهية، وليس بصمت، فيدخل في عموم الحديث الذي ذكره أبو داود في سننه . سبق ذكره . ([1]).

ورد ابن قدامة هذا القول، بقوله:

البكاء يدل على فرط الحياء لا على الكراهة ، ولو كرهت لامتنعت، فإنها لا تستحي من الامتناع، والحديث يدل صراحة على أن الصمت إذن، وبمعناه البكاء([2]).

القول الثالث: ذهب بعض الحنفية إلى التفصيل، بقولهم:

" إن كان باردا أو عذبا كان إذنا، وإن كان حارا أو مالحا كان ردا".

وعن أبي يوسف روايتان، في رواية رضا، لأن البكاء قد يكون عن سرور ، وقد يكون عن حزن، فلا يثبت بواحد منهما للمعارضة، ويبقى مجرد السكوت وهو رضاء([3]).

وفي رواية : لا يكون رضاء، وهو قول محمد، وذلك لأن البكاء غالبا ما يكون عن حزن([4]).

وسبب التقسيم([5]):

أولا: الاعتماد على النصوص القرآنية :

فقد اعتمد فقهاء الحنفية على تفسير البغوي بقوله : (العين إذا بكت من السرور فالدمع بارد، كما في قوله تعالى:

. (**وقري عينا**...مريم من الآية ٢٦).

. (**قرت عين لي ولك**... القصص من الآية٩).

و قال :إن العين إذا بكت من الحزن فالدمع يكون حارا، كما في قوله تعالى:

. (**تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا**.....**التوبة ٩٢**)

. (وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم....يوسف ٨٤).

. (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ، مريم ٥٨).

فمن هذا قيل: أقر الله عينه ، وأسخن الله عينه)([6]).

---

(١): حاشية ابن عابدين: ٧ / ١٤ .

(٢): المغني: ٧ / ٣٨٨ .

(٣): مجمع الأنهر: ١ / ٣٢١ . ٣٢٢، المقنع والشرح الكبير والإنصاف: ٢٠ / ١٥٢ .

(٤): المصدران أنفسهما.

(٥): مجمع الأنهر: ١/ ٣٢٢ ، المقنع والشرح الكبير و الإنصاف: ٢٠ / ١٥٢ .

(٦): تفسير البغوي: ٣ / ١٦١ .

فعند العرب" قري":كناية عن السرور ، ولي هنا لقاء مع الدكتور عبد المجيد عبد العزيز الراوي في هذا الموضوع ،فقال:عند الغضب والحالة النفسية المضطربة تتوسع الأوعية الدموية في مقلة العين ويضخ الدم لملأ هذه الأوعية بالدم الذي يساعد على ارتفاع درجة حرارة العين والدموع([1]).

وقال بعض العلماء :

تحتوي الدموع العاطفية على هرمونات وبروتينات والأنذروفين وهي عبارة عن مسكن ألم طبيعي.وبذلك قد تختلف درجة السخونة للدمع من شخص إلى آخر.

وفيما يتعلق بالعذوبة والملوحة ، فقد بينا تركيبة الدموع ، وهي ثابتة عند الإنسان السليم ، لكن مكونات الدمع تضطرب عند وجود حالات مرضية تصيب الغدد التي تكون الدمع في عين الإنسان.فقد تزداد ملوحة الدمع عند البعض دون البعض،وقد يكون الدمع قليل الملح فيكون عذبا كالماء العذب فهو يحتوي على الأملاح بنسب قليلة والله تعالى أعلم.

ثانيا: الاعتماد على القرائن والمظاهر:

يكون هذا التقسيم نتيجة ما يظهر من علامات على وجه البنت من السرور والفرح والرضا فسميت بالباردة أو العذبة، والغضب وعدم الرضا والنفور بالحارة المالحة ، بدليل ذكرهم لسبب التقسيم :

[البكاء قد يكون عن سرور ،وقد يكون عن حزن].

وهذا يشابه قوله تعالى:

(فضحكت فبشرناها..... هود: من الآية ٧١)

فقال بعض المفسرين: الضحك بمعنى الحيض.

إلا أن العلماء أنكروا ذلك ، فقال الراغب الأصفهاني:

{من قال : حاضت فليس تفسيرا لقوله تعالى :(فضحكت فبشرناها...) كما تصوره بعض المفسرين وإنما ذكر ذلك تنصيصا لحالها ، وأن الله تعالى جعل ذلك أمارة لما بشرت به ، فحاضت في الوقت ليعلم أن حملها ليس بمنكر إذ كانت المرأة مادامت تحيض فإنها تحبل}([2]).

ثالثا: الاعتماد على الحواس:

في معرفة عذوبة الدمع و ملوحته، وسخونته وبرودته.

المعقول:

-

(١): أستاذ مساعد في جامعة الأنبار/ قسم علوم الحياة.

(٢) : معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٣٠١ .

ـ أسباب تقسيم الدموع عند الحنفية غير منضبطة ، فالآيات القرآنية التي اعتمدوها،هناك من أنكر حملها على الدموع الباردة فالدمع كله حار(١).

أما الاعتماد على المظاهر والحواس فالكل يعلم عدم انضباطها فقد يداخلها الخداع والكذب والرياء،فضلا عن أنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا السكوت لضبطه بخلاف البكاء والضحك فإنه لا ينضبط، يقول صاحب شرح فتح القدير:(والمعول عليه اعتبار قرائن الأحوال في البكاء والضحك فإن تعارضت أو أشكل أحتيط وعن هذا ما اعتبر بعضهم من أن دموعها إن كانت حارة فهو رد أو باردة فهو رضا لكنه اعتبار قليل الجدوى أو عديمه إذ الإحساس بكيفيتي الدمع لا يتهيأ إلا لخد الباكي، ولو ذهب إنسان يحسه لا يدرك حقيقة المقصود، وليس بمعتاد، و لا يطمئن به القلب إلا أنه كذا ذكر)(٢).

والذي أراه هو إخبارها بأن البكاء إذن منها بالقبول، ويستحب تكرار ذلك ، فضلا عن الجلوس معها للتثبت من رأيها والله أعلم.

ثانيا: البكاء بصوت يصاحبه العويل والصراخ للبنت عند استئذانها . للنكاح بين الرضا والرفض:

قرر الفقهاء جميعا ومنهم الحنفية:(٣) أن البكاء إذا كان بصياح أو عويل أو ضرب خد أو غضب،أو نفرت أو قامت أو تمعر(٤) وجهها أو أظهرت الكراهية أو ما أشبه ذلك ، ونحوها لا يعد قبولا و لا رضا ولا إذنا، فلا تزوج حتى يتحقق من موافقتها، وحجتهم:

١: لأنه يشعر بعدم الرضا، فالسكوت السلبي لا يكون دليلا على الرضا.

---

(١) : تفسير القرطبي: ١٣/ ٤٣٨.

(٢) : شرح فتح القدير: ٣/ ٢٦٤.

(٣) : المقنع والشرح الكبير والإنصاف: ٢٠ / ١٤٨ ، الفقه على المذاهب الأربعة: ٨٣٠ ، ٨٣٢ ، المنتقى شرح موطأ مالك: ٥ / ١٢ .

(٤): تمعر وجهها : تغير غيظا وغضبا ، يقول بعض العلماء: خلق الله . تعالى . الغضب من النار ، وجعله غريزة في الإنسان ، فمهما قصد أو نوزع في غرض ما اشتعلت نار الغضب وثارت حتى يحمر الوجه والعينان من الدم ، لأن البشرة تحكي لون ما وراءها ، وهذا إذا غضب من دونه ، واستشعر القدرة عليه، وإن كان ممن فوقه تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب فيصفر اللون حزنا، ، وإن كان على النظير تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويترتب على الغضب تغير الظاهر والباطن ، كتغير اللون والرعدة في الأطراف ، وخروج الأفعال من غير ترتيب. ينظر فتح الباري: ١٠ / ٥٨٦ .

٢: هذه قرائن وظروف خلعت ثوب الدلالة على الرضا.

المقصد الثالث : بكاء المرء لا يدل على صدق مقالته :

بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله ، ويدل على ذلك قوله تعالى : **{ وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ }** [١] فإن أخوة يوسف تصنعوا البكاء ، ليصدقهم أبوهم بما أخبروه به . مع أن الذي أخبروه به كذب هم الذين دبروه وفعلوه .

قال القرطبي : قال علماؤنا هذه الآية دليل على أن بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله لاحتمال أن يكون تصنيعاً ، فمن الخلق من يقدر عليه وفيهم من لا يقدر . وقد قيل : إن الدمع المصنوع لا يخفى[٢] فالبكاء غير معتبر في الجنايات والحدود والأحوال الشخصية إلا ما ذكرناه ، لأن إثباتها يكون بالبينة ووسائل الإثبات ، فإذا ثبتت البينة فلا اعتبار للبكاء ، فقد روى الجصاص[٣]وغيره أن الشعبي كان جالساً للقضاء فجاءه رجل يبكي يدعى أن رجلاً ظلمه ، فقال رجل : بحضرته يوشك أن يكون هذا مظلوماً . فقال الشعبي : إخوة يوسف خانوا وظلموا وكذبوا ، وجاؤا أباهم عشاء يبكون فأظهروا البكاء لفقد يوسف ، ليبرؤا أنفسهم من الخيانة وأوهموه أنهم مشاركون له في المصيبة ، ويلقنوا ما كان أظهره يعقوب لهم من خوفه على يوسف .

وفي رواية أخرى أن امرأة حاكمت إلى شريح القاضي فقال له الشعبي : يا أبا أمية أما ترى أنها تبكي ؟ فقال شريح: قد جاء إخوة يوسف يبكون وهم ظالمون ، ولا ينبغي لأحد أن يقضي إلا بما أمرت به السنة المرضية .

المقصد الرابع : أحكام خاصة بالصغار:

ويتضمن:

أولاً:أثر بكاء المولود عند الولادة :

(١) سورة يوسف : ١٦ .

(٢) تفسير القرطبي: ١٥٤/٩ .

(٣) أحكام القرآن للجصاص:١٦٨/٣، أحكام القرآن لابن العربي: ١/١٠٦٣/٣ الكشاف :٤٥٠/٢.

إذا بكى المولود عند ولادته ،بأن استهل صارخاً فإن ذلك يدل على تحقق حياته سواء انفصل بالكلية كما عند الشافعية أم لم ينفصل كما عند الحنفية ، فإن لم يبك ، لم توجد منه علامة تدل على الحياة فلا يحكم بحياته فإن بدأ منه ما يدل على حياته كالبكاء والصراخ ونحو ذلك فإنه يعطي حكم الأحياء فيسمى ويرث ، ويقتص من قاتله عمداً ، ويستحق مواليه الدية في غير العمد ، فإن مات بعد تحقق حياته فإنه يغسل ويصلى عليه ويورث .

قال ابن رشد :

(العلامة التي تدل على سقوطه حياً أو ميتاً ، فذهب مالك وأصحابه إلى أن علامة الحياة الاستهلال بالصياح أو البكاء . وقال الشافعي وأبو حنيفة والثوري وأكثر الفقهاء : كل ما علمت به الحياة في العادة من حركة أو عطاس أو بنفس فأحكامه أحكام الحي وهو الأظهر) [1] .

وقال الماوردي: وقال الشافعي وأبو حنيفة والصحابة بأي وجه علمت حياته من حركة ، أو صياح ، أو بكاء ، أو عطاس ورث وورث : لأن الحياة علة الميراث فبأي وجه علمت فقد وجدت ، ووجودها موجب لتعلق الإرث بها ، ثم اختلفوا إذا استهل قبل انفصاله ، ثم خرج ميتا ، فقال أبو حنيفة وأصحابه : إذا استهل بعد خروج أكثره ورث وورث وإن خرج باقيه ميتا .

وعلى مذهب الشافعي أنه لا يرث إلا أن يستهل بعد انفصاله : لأنه في حكم الحمل ما لم ينفصل .

ألا ترى أن العدة لا تنقضي به وزكاة الفطر لا تجب عليه إلا بعد انفصاله ؟ وكذلك الميراث[2].

ثانيا: القصاص في لسان الصبي :

قال الماوردي : وجملة ذلك أن لسان الصبي الطفل يعجز عن الكلام لضعف الصغر كما تعجز أعضاؤه عن استيفاء الحركة ، فيلزم في لسانه إذا كان معروف السلامة جميع الدية مثل ما يلزم في لسان الناطق الكبير ، كما يلزم في رجليه جميع الدية إذا عرفت سلامتهما وإن كان ينهض للمشي بهما ، وإذا كان كذلك فأول ما يظهر من الطفل حرف الحلق في البكاء ، ثم حروف الشفة في بابا وماما ، ثم حروف اللسان إذا تكلم ، وبعض ذلك يتلو بعضا ، فإذا عرف منه أحد هذه الثلاثة في زمانه دل على سلامة لسانه فكملت فيه الدية وإن لم يستكمل الكلام ، لأنه يكمل

(١) بداية المجتهد: ٢/٣١١-٣١٢ ،الروضة الندية: ٢/٣٢٦ ،الحاوى الكبير: ٨ / ٤٧٦.

(٢) : الحاوى الكبير :١٢ / ٥٩٩.

في غالب العرف إذا بلغ زمان الكمال ، وإن لم يظهر منه في أوقات هذه الحروف ما يدل على سلامة لسانه كان ظاهره دليلا على خرسه ، فيلزمه فيه حكومة ، ولو قطعه ساعة ولادته قبل أوقات حركات لسانه صار لسانه وإن كان من الأعضاء الظاهرة من الكبير جاريا مجرى الأعضاء الباطنة فيكون على قولين : أحدهما : يحمل على الصحة ، لتعذر البينة فيه اعتبارا بالأغلب من أحوال السلامة ،وتكمل فيه الدية .

والقول الثاني : أنه يحمل على عدم الصحة ، لأن لا يقضي بالإلزام مع إمكان الإسقاط اعتبارا ببراءة الذمة ، وتجب فيه حكومة ([1]).

ثالثا: سماع بكاء الصبي عند الصلاة:

يسن لسماع بكاء الطفل أن يخفف الإمام الصلاة ، فعن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(إني لأقوم في الصلاة فأسمع بكاء الصبي ، فأوجز في صلاتي ، كراهية أن أشق على أمه)[2] .

دلالته : واضحة على التخفيف عند سماع بكاء الصبي .

قال المناوي([3]):في الحديث دلالات هي:

. تخفيف الصلاة والاقتصار على أقل ممكن من إتمام الأركان والهيآت من شدة وجد أمه أي حزنها ببكائه ، وفيه اختصار والمراد وأمه معه في الصلاة ، أن تلتهي عن صلاتها لاشتغال قلبها ببكائه . وفي معناه ما لو كان الصبي في بيت أمه وأمه في المسجد في الصلاة.

. وهذا من كريم عوائده ومحاسن أخلاقه وشفقته على أمته، وقد خصه الله من صفة الرحمة بأتمها وأعمها، ، فإنه كان أرحم الناس بالصبيان ،والقصد به بيان الرفق بالمقتدين.

. وفيه إيذان بفرط رحمة المصطفى صلى الله عليه وسلم فإنه قَوِيَ عليه باعث الرحمة لأمه وغلبه مع علمه بأن بكاء الطفل وصراخه ينفعه كما قال ابن القيم نفعا عظيما فإنه يروض أعضاءه ويوسع أمعاءه ويفتح صدره ويسخن دماغه ويحمي مزاجه ويثير حرارته الغريزية ويحرك

(١): الحاوى الكبير : ١٢ / ٦٠٠.

(٢) : صحيح البخاري: ١/١٣٠—١٣١ ، وصحيح مسلم: ١/١٩٦ .

(٣): فيض القدير :٣ / ١٧.

طبيعته لدفع ما فيها من الفضول ويدفع فضلات الدماغ إلى غير ذلك مما هو معروف مشهور وكما بينا.

. وفيه أن الإمام إذا أحس بداخل وهو في ركوعه أو تشهده الأخير له انتظار لحوقه راكعا ليدرك الركعة أو قاعدا ليدرك الجماعة ، لأنه إذا جاز له أن يقصر صلاته لحاجة غيره في أمر دنيوي فللعبادة أولى .

. وفيه جواز صلاة النساء مع الرجال في المسجد وإدخال الصبيان وإن كان الأولى تنزيههم عنهم ، والرفق بالمأموم ، وإيثار تخفيف الصلاة لأمر حَدَث وإن كان الأفضل في تلك الصلاة التطويل كالصبح .

الخاتمــة :

أفرز البحث ما يأتي :

أولاً : استعمل الفقهاء المعنى اللغوي للبكاء بالمد وهو الصوت والمراد به الحزن ، وبالقصر الدموع وخروجها ولم يتوصل العلماء إلى علة للبكاء كالضحك .

ثانياً : يعد البكاء أسلم طريقة لتحسين حالة الصحة من التخلص من المواد الكيماوية المرتبطة بالتوتر ، كما أنه يساعد في ارتخاء العضلات ويزيد من عدد ضربات القلب ويعد تمريناً نافعاً للحجاب الحاجز وعضلات الصدر والكتفين وعند الانتهاء منه تعود سرعة ضربة القلب إلى طبيعتها فتسترخي العضلات وتحدث حالة شعور بالراحة ، وكبت الدموع قد يؤدي إلى

الإحساس بالضغط والتوتر فهو ليس دليلاً على الضعف أو عدم النضج . والدليل حثه صلى الله عليه وسلم بقوله : (ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا) [١] .

ثالثاً : يتنوع البكاء تبعاً لأسبابه وجميع أسبابه نفسية بين القرآن الكريم جانباً منها فضلاً عن السنة النبوية .

رابعاً : أما بخصوص الأحكام الفقهية فإن نطاقها يقتصر على الصلاة وأثر البكاء في صحتها ، وحكم البكاء على الميت ، وأقوال الفقهاء في البكاء على الميت وتعذيبه في قبره وحكم البكاء عند تلاوة القرآن الكريم ، وأثر البكاء للبكر عند الاستئذان ،وبكاء الطفل في إثبات حياته والبكاء عند رفع اليدين للدعاء فنطاقه غير واسع .

خامساً : هناك بكاء الظلم والنفاق وهو مشهور في عصرنا الراهن فنجد الكثير يبكي باسم الإنسانية ويده ملطخة بالدماء ، ويقول ابن الجوزي :

(وقد ترى البعض يبكون وقلوبهم أقسى من الحجارة ،فإذا بكت العيون وقسا القلب دل ذلك على النفاق ، ومتى رأيت العبد لا يزيده بكاؤه إلا كبراً وعجباً وظلماً وقسوة وغلظة ورغبة في الدنيا فاعلم أن بكاءه كان تصنعاً وزوراً)[٢] .

وهذا ما يطلق عليه بكاء التماسيح كما بينت خصائصه في بحثنا .

سادساً : يمكن للبكاء وللضحك أن يكونا علاج هذا العصر نتيجة الفوائد لكل منها وحسب ما سمته لنا الشريعة الغراء فقد أثبت في بحثي حقيقة الضحك وأهميته وحقيقة البكاء وأهمية علاجاً للنفوس المتعبة نفسياً ووفق ضوابط علمية رصينة يمكن للأطباء الإفادة منها في علاج الكثير من الأمراض النفسية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) سنن ابن ماجه: ١٤٠٣/٢ .

(٢): المدهش :٤٣٤ .

المراجع والمصادر:

أولاً : القرآن الكريم

ثانيًا : كتب تفسير القرآن الكريم ، وتشمل :

١. تفسير ابن العربي ،(أحكام القرآن) ، ط٢ ، تحقيق البجاوي .

٢. تفسير الآلوسي ،(روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) ، دار إحياء التراث العربي –بيروت .

٣.تفسير البغوي المسمى " معالم التنزيل" للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان، ط١ ،سنة:١٤٢٤ . ٢٠٠٤ .

٤. تفسير القرطبي المسمى" الجامع لإحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان" ، للإمام القرطبي، تح : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، سنة: ١٤٢٧. ٢٠٠٦ .

٥. تفسير الجصاص (أحكام القرآن) ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان .

٦. تفسير الرازي (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب) ، دار الفكر وطبعة إحياء التراث العربي .

٧. تفسير الزمخشري ، (الكشاف) ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٨. تفسير الطبرسي ، (مجمع البيان في تفسير القرآن) ، إحياء التراث العرب ، دار الفكر – بيروت .

٩. تفسير محمد رشيد رضا ، (المنار) ، ط٤، مصر .

١٠.تفسير النسفي ، دار إحياء الكتب العربية .

ثالثاً : كتب أسباب النزول :

١.أسباب النزول ، للواحدي ، مطبعة البابي الحلبي ،سنة ١٩٥٩م .

٢.لباب النقول في أسباب النزول ، للسيوطي ، طبعة بغداد .

رابعاً : كتب الحديث الشريف :

١.الاتحافات الربانية بشرح الشمايل المحمدية للترمذي ، لأحمد عبد الجواد ، ط١ ،المكتبة التجارية .

٢.تحفة الأحوذي لشرح جامع الترمذي ، للمباركفوي ط٢ ،١٩٦٣ م .

٣.الترغيب والترهيب ،للمنذري ،دار الحديث ،القاهرة .

٤.حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي . بيروت، ط٤، سنة: ١٤٠٥.

٥.سنن ابن ماجه ، للقزويني ، حققه محمد فؤاد عبد الباقي ،دار الفكر للطباعة والنشر .

٦.سنن أبي داود ، الدار المصرية اللبنانية ،نشر بيروت .

٧.سنن النسائي شرح السيوطي دار إحياء التراث العربي .

٨.صحيح ابن خزيمة، لابن خزيمة النيسابوري،تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت،سنة: ١٣٩٠. ١٩٧٠.

٩.صحيح البخاري ،دار الفكر ،بيروت ،بغداد ،١٩٨٦م .

١٠.صحيح البخاري شرح الكرماني ،ط١،المطبعة المصرية .

١١.صحيح مسلم ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
١٢ .صحيح مسلم بشرح النووي ، المطبعة المصرية .
١٣.فتح الباري شرح صحيح البخاري، للعسقلاني، دار الفكر، طبعة: ١٤١٦. ١٩٩٥.
١٤.الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد للساعاتي ، دار إحياء التراث العربي – لبنان .
١٥ .فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للمناوي –ط٢ ، ١٩٧٢م ، دار المعرفة .
١٦. المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، تح: مصطفى عبد القادرعطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١. ١٩٩٠.
١٧.المعجم الكبير للطبراني ،ط ٢،مطبعة الزهراء –الموصل .
١٨.المنتقى شرح موطأ مالك، تأليف : القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف ابن سعد ابن أيوب الباجي، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان، ط١، سنة: ١٤٢٠. .١٩٩٩
١٩.مسند الإمام أحمد بن حنبل،مؤسسة قرطبة . القاهرة. ٢٠.المنتقى من أخبار المصطفى ، لمجد بن تيمية ،ط١ ،١٣٥١ . ٢١.نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، للشوكاني، دار الفكر ، ١٩٧٣م .

خامساً : كتب الفقه وتشمل :

أ– كتب الحنفية :

١.البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .
٢.رد المحتار على الدر المختار ، شرح تنوير الأبصار المسماة حاشية ابن عابدين ، ط٢، سنة ١٩٦٦م .
٣.الفتاوى الهندية لعلماء من الهند ،ط ٢، المطبعة الأميرية الكبرى .
٤.فتح القدير لابن الهمام الحنفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .
٥.الهداية شرح بداية المبتدى لبرهان الدين ،طبع بالمطبعة البابية الحلبية.

٦.مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر ، سنة ١٢٣٢٧ هـ ، دار سعادت.

ب- كتب الشافعية :

١.أسنى المطالب شرح روض الطالب، لزكريا الأنصاري، تح: د. محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١، سنة: ١٤٢٢. ٢٠٠٠.

٢.إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين شرح قرة العين بمهمات الدين ، ط٢،سنة ١٣٥٦هـ .

٣.بشرى الكريم بشرح مسائل التعليم ، سعيد بن محمد ، ط ٢ ،١٩٤٨م .

٤.حاشية الباجوري على شرح ابن القاسم ، دار إحياء الكتب العربية – مصر .

٥.حاشية الجمل على شرح المنهج ، لسلمان الجمل ،المكتبة التجارية الكبرى ، مصر.

٦.كتاب الحاوي الكبير ، أبو الحسن الماوردي، دار الفكر . بيروت.

٧.حواشي الشرواني وابن القاسم ، للهيتمي ، المطبعة اليمنية ،مصر ،١٣١٥هـ .

٨.حواشي قليوني وعميرة، نشر عيسى البابي الحلبي ، مطبعة دار إحياء الكتب .

٩.مغني المحتاج ، للشربيني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت –لبنان.

ج- كتب المالكية :

١.بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، لابن رشد ، دار الفكر .

٢.حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار إحياء الكتب العربية،عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٣.الفواكه الدواني بشرح النفراوي المالكي ،ط ٣، سنة: ١٩٥٥م ، مطبعة البابي.

٤.مواهب الجليل مختصر أبى الضياء وسيدي خليل ، للمغزي ، ط ١

،سنة ١٣٢٩هـ مطبعة السعادة ، مصر .

ء- كتب الحنابلة :.

١.الإقناع ، لأبى النجار المقدسي ،المطبعة المصرية .

٢.الشرح الكبير (المغني) ، لابن قدامة ، دار الفكر ، ط١ ، ١٩٨٤ ، بيروت .

٣.الفروع ، لشمس الدين المقدسي ، دار الفكر ، ط١ ، سنة ١٩٨٥م ، بيروت – لبنان .

٤.كشاف القناع عن متن الإقناع ، للبهوتي ، نشر مكتبة النصر الحديثة – السعودية.

٥.المقنع والشرح الكبير والإنصاف، تحقيق: د. عبد الله ابن عبد المحسن التركي ، دار هجر للنشر، ط ١،سنة: ١٤١٦. ١٩٩٦.

هـ: كتب الظاهرية :

المحلى لابن حزم الظاهري ، بتصحيح محمد خليل هراس ، مطبعة الإمام – مصر .

و – كتب الزيدية :

١.الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير ، للشياغي ،ط ٢، السعودية .

٢. الروضة الندية شرح الدار البهية،للعلامة أبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري،دار الندوة الجديدة ،بيروت – لبنان ،ط ٢،سنة ١٩٨٨م–١٤٠٨هـ.

ز – كتب الإمامية :

١.مفاتيح الشرائع في فقة الإمامية ، للكاشاني ، ط ١ ، سنة ١٩٦٩م .

٢.منهاج الصالحين ، للموسوي ، ط ٢٩ ، دار العلم ، النجف .

ح– كتب مشتركة :

١.الفقة على المذاهب الأربعة للجزيري ، دار إحياء التراث العربي ، ط ٣ .

٢.الموسوعة الفقهية ، الكويت ، ط ١ ١٩٨٦ م .

٣.الفتاوى الكبرى لابن تيمية ، دار .المعرفة ، بيروت –لبنان .

سادساً : كتب أصول الفقه :

المستصفى ، للإمام الغزالي ، ط١، المطبعة الأميرية ،مصر سنة ١٣٢هـ.

سابعاً : كتب اللغة والأدب :

١.ديوان كعب بن مالك ، د. سامي مكي العاني ،جامعة بغداد ١٩٦٦م .

٢.لسان العرب لابن منظور ، دار الطباعة ،بيروت – سنة ١٩٥٥م .

٣.معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ،دار الفكر، تحقيق : نديم مرعشلي .

٤.المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الأصفهاني ، مطبعة مصطفى الحلبي ، مطبعة ١٩٦١م .

ثامناً : كتب عامـة :

١.إحياء علوم الدين ، للغزالي ، خرج أحاديثه د. محمد محمد ثامر ،ط١سنة٢٠٠٤ م ، دار الآفاق العربية .

٢.تاريخ الخلفاء للسيوطي ، تحقيق محمد محي الدين ، مكتبة الشرق الجديد ، بغداد سنة ١٩٨٦ م.
٣.التذكار في أفضل الأذكار القرآن الكريم ، للقرطبي ،دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان .
٤.التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، للقرطبي ، مطبعة الراية ، بغداد ١٩٨٩ م .
٥.حالة أهل الحقيقة مع الله ، أحمد الرفاعي ،ط١ ، الموصل .
٦.حجة الله البالغة ، للدهلوي ، تحقيق سيد سابق ، دار الكتب الحديث ، مصر.
٧.الرسالة القشرية للنسيابوري ، ط١، مطبعة الحلبي ، مصر ،١٩٤٠ م .
٨.الرياض النضرة في مناقب العشرة ، للطبراني ،ط٢، سنة ١٩٥٣م.
٩.صحة وجمال عينيك' إعداد: عبد العزيز كامل المنيلاوي، مكتبة الإيمان .مصر، ط ١، سنة: ١٤١٦. ١٩٩٦.
١٠.صفة الصفوة لابن الجوزي ، دار المعرفة ، ط ١٩٧٩.
١١.عيون الأخبار ، لابن تيمية ، طبعة دار الكتب . مصر.
١٢.قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، لمحمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي، تح: د. عاصم إبراهيم الكيالي.دار الكتب العلمية، ط٢، سنة: ١٤٢٦. ٢٠٠٥.
١٣.موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ،ط٥، دار النفائس ، سنة ١٩٨٦م .
١٤.المدهش ، لابن الجوزي ، سنة ١٩٧٣ م. بيروت – لبنان .
١٥.مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، لابن القيم الجوزية ،دار الكتب العلمية – بيروت .

تاسعاً : الكتب والبحوث العلمية :

١.الأحكام الشرعية للأعمال الطبية ، د.أحمد شرف الدين . سنة ١٩٨٣ م .
٢.الطفل في حالة الصحة وفي حالة المرض ، محمد صادق زلزلة ،ط١٩٨٧،٢م .
٣.sielegy Phy Animal of Plinciples
JehnRi chardson . and A-Willsen J ames

عاشراً : الصحف والمجلات :

١.صحيفة الزوراء ،العدد (٧٩) ،سنة ١٩٩٨م

٢.مجلة الرباط الإسلامي ، مجلة شهرية ، جامعة حضر موت ، العدد ٢ ، سنة: ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٣.موقع الانترنيت: حقيقة الدمع، للأستاذ: حمزة المغربي، الأستاذ: حسن محمد صندقجي، بتاريخ: ٧/ ١٠/ ٢٠٠٩.